سلسلة الدراسات التاريخية 1

البجة وشرق السودان

في العصر التاريخي القديم

(2200 ق.م. إلى 580م)

أ.د. سامية بشير دفع الله

الطبعة الأولى 2022م

البجة وشرق السودان في العصر التاريخي القديم - 2200 ق.م إلى 580م - أ.د. سامية بشير دفع الله

القارئ الكريم:

سلسلة الدراسات التاريخية هي مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية الرصينة الهادفة، عملت دار آريثيريا للنشر والتوزيع على تبنيها والاهتمام بها ونشرها بالشراكة مع مجلة القلزم للدراسات التوثيقية.. خدمةً للبحث العلمي في مجال الدراسات و البحوث التوثيقية.

القارئ الكريم:

تثمن دار آريثيريا للنشر والتوزيع المجهودات العلمية لجميع المفكرين والمختصين والباحثين من مختلف الدول العربية وخارجها، وتؤكد بأنها سوف تعمل بكل جد واجتهاد على توسيع قاعدة النشر العلمي وإتاحته عبر الدار وشركائها، لنشر البحوث التي تسهم في رفد المكتبة العربية والعالمية بالجديد المفيد.

القارئ الكريم:

العالم اليوم يؤمن بالعمل الجاد والبحوث العلمية الرصينة ذات المردود الإيجابي على الفرد والمجتمع، ومن خلال هذا المحور نعمل دائما - بحول الله تعالى - كي تكون الدار منبراً علمياً يشار إليه بالبنان. بإذنه تعالى.



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

البجا و شرق السـودان
في العصر التاريخي القديم

(2200 ق.م. إلى 580 م).

أ.د. سـامية بشـير دفع اللّٰه

2022م

الكتاب: البجا وشرق السودان في العصر التاريخي القديم
تاريخ النشر : الطبعة الأولى 2022م

التصميم والإخراج: علي عبد الحليم كابتود



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution
جوال : -00249121566207 00249910785855
arithriaforpublishing@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾

(آل عمران - ١٤٠)

الفهرست

تقديم

د. عوض شبا

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان

هـذه الدراسـة قدمـت في الأصـل كورقـة علميـة لنشرهـا في مجلـة القلـزم العلميـة للدراسـات السـياحية والآثاريـة العلميـة الدوليـة المُحكمـة، وهـي مـن الدراسـات النوعيـة والمهمـة لـذا رأت وحـدة البحـوث والنـشر بمركـز بحـوث ودراسـات دول حوض البحـر الأحمر نشرهـا ككتـاب ضمـن سلسـلة الدراسـات التاريخيـة والحضاريـة المتخصصـة التـي تصـدر عـن المركـز بالشراكـة مـع دار آرثيريـا للنـشر والتوزيـع. وترجـع أهميـة هـذه الدراسـة في أنهـا تناولـت موضوعـاً في غايـة الأهميـة لمكـون سـكاني كان لـه تأثـيراً كبيراًعـلى مجريـات الأحـداث التاريخيـة، والسياسـية، والاجتماعيـة، والاقتصاديـة قديمـاً وحديثـاً في نطـاق جغـرافي بالـغ الأهميـة وهـو إقليـم سـاحل البحـر الأحمـر السـوداني وإمتداداتـه غربـاً نحـو إقليـم وادي النيـل . وتعتـبر هـذه الدراسـة إضافـة علميـة وامتـداد لدراسـات سـابقة للكاتبـة وهـي البروفسـيرة سـامية بشـير دفـع اللـه الأكاديميـة المرموقـة والمتخصصـة في الدراسـات المصريـة واسـتاذة تاريـخ السـودان القديـم بجامعـة الخرطـوم، وصاحبـة عـدة دراسـات ومؤلفـات مرجعيـة عـن تاريـخ السـودان القديـم مـما أضفـى عـلى هـذه الدراسـة قيمـة خاصـة لـثراء معلوماتهـا وإعتمادهـا عـلى مصـادر علميـة اوليـة.

هـذه الدراسـة الموسـومة ب(البجـا وشرق السـودان في العـصر التاريخـي القديـم (2200 ق.م - 580م) قدمـت إضـاءات جيـدة وجديـدة عـن البجـا في شرق السـودان عـبر العصـور التاريخيـة القديمـة وتجاوزتهـا إلى الحديـث عـن دورهـم المحـوري في التأسـيس للعصـور الوسـطى في تاريـخ السـودان الغنـي والـثر.

أشـارت الكاتبـة في المقدمـة إلى تاريـخ الاسـتيطان في الصحـراء الشرقيـة السـودانية مابـين النيـل والبحـر الأحمـر وهـي تـكاد تكـون مطابقـة للمناطـق التـي تقطنهـا قبائـل البجـا الحاليـة يعـود إلى البدايـات الأولى لوجـود الإنسـان عـلى وجـه البسـيطة. ثـم تطرقـت إلى مقاربـات تاريخيـة ولغويـة للربـط بـين الإسـم الحـالي للبجـا والمسـميات القديمـة لسـكان هـذا الإقليـم وهـم المدجـاي والبليميـين ورغـم الحجـج القويـة التـي أوردتهـا يبقـي البـاب مفتوحـا للمزيـد مـن الدراسـات حـول هـذا الموضـوع. ثـم تناولـت الأراء التـى تحدثـت عـن

الأصل العرقي للبجا رغم قناعتها المبدئية بعدم وجود إختلافات بيولوجية ذات قيمة بين البشر وفق الدراسات العلمية الحديثة وبعدها تطرقت لأدوار بجا المدجاى على المصطلح التى صكتها الكاتبة في الحقب التاريخية المصرية القديمة من الأسرة السادسة وحتى الأسرة العشرين والتى تمثلت بصورة أساسية في استخدامهم كمقاتلين وعمال وأدلاء طرق. كما أشارت الدراسة إلي هجرة بعضهم إلي وادي النيل سمتهم الكاتبة بمدجاي النيل وربطت بينهم والمكتشفات الأثارية التى وجدت بموقع الهو جنوب مصر وهي عبارة عن قبور دائرية فطحاء

تحيط بها كومة حجارة أو الطوب اللبن مغطأة بالحصى والتى عرفت بثقافة البان قريف وكذلك بالمكتشفات الاثرية والمعروفة بثقافة جبل مكرام بولاية كسلا السودانية. كما تناولت لغة المدجاي كما أشارت بعض الدراسات اللغوية أنها تنتمي إلى عائلة اللغات الكوشية وهي العائلة التي تنتمي إليها لغة البجا الحاليين، وأظن أن هذه الإشارة الممتازة والمغتضبة تحتاج إلى مزيد من الدراسات اللغوية الجادة من قبل المختصين والباحثين .

وفي الجزء الثاني للدراسة قدمت الكاتبة إفادات ضافية عن البجا البليميين على حسب تعبيرها بداية بالفترة البطلمية في مصر ثم تواجدهم وإستيطانهم في وادي النيل ودورهم المتعاظم تدريجيا خلال الفترات التاريخية التى بلغت أوجها مابين القرنين الرابع والسادس الميلاديين، والتى أجبرت الرومان على التعامل معهم كقوة رئيسة في وادي النيل جنوب الشلال الأول ،وتطرقت الكاتبة إلى جزئيات وتفصيلات مختلفة ومهمة عن تاريخ البليميين تناولت آثارهم ونظم الحكم والإدارة عندهم، ونفوذهم السياسي معتمدة في ذلك على مصادر أولية ونقوش ووثائق تعود أو تزامنت مع تلك الفترات وهو في تقديرنا الجزء الأهم في هذه الدراسة. ثم تناولت في إيجاز جوانب من تاريخ بجا المقباروي واندماجهم مع البليميين ومواطن بجا التراقوديت.

هذه الدراسة كما ذكرنا في البداية دراسة مهمة ونوعية نأمل من البروفسيرة سامية بشير دفع الله أن تستكمل ما بداتها في دراسة شاملة تستصحب معها الدراسات والبحوث الحديثة في مختلف حقول المعرفة عن هذه الإقليم ومكوناته الاجتماعية.

مع خالص شكرنا وأمتناناً لأستاذتنا البروفيسور سامية بشير دفع الله، على هذا الدراسة العلمية الغنية والضافية..

مقدمة:

يسكن البجا الصحراء الشرقية التي يقع الجزء الشمالى منها في الأراضي المصرية بمحاذاة مدن جنوبية مثل قفط، موعلا، إدفو الأقصر وأسوان . لكن يقع الجزء الأكبر من وطن البجا في الأراضي السودانية. شرقاً تمتد أرضهم حتى ساحل البحر الأحمر الغربي. غرباً تمتد حتى نهر عطبرة ومواقع سُكان وادي النيل المستقرين في ولاية نهر النيل الحديثة. جنوباً تتداخل أرض البجا الجنوبيين (البني عامر) مع أراضي بعض القبائل الإريترية في جمهورية إريتريا الحديثة.

بشكل مبدئي، يمكننا الصدع بأن تاريخ سكنى البشر في الصحراء الشرقية بشكل عام يعود للبدايات المبكرة لوجود الإنسان على سطح البسيطة. فقد أثبتت دراسات حديثة أن سكان شمال شرق إفريقيا، وفيها تقع الصحراء الشرقية، يمثلون أقدم السلالات البشرية على الإطلاق [1].

من جهة أخرى وفيما يتعلق بشرق السودان تحديداً، كشفت تنقيبات حديثة جرت في العام 2015 عن أدوات حجرية أشولية يعود تاريخها لحوالى 400000 (أربعمائة ألف) سنة مضت. تمت هذه الاكتشافات بطريق الصدفة كنتيجة لنشاط المعدنين الباحثين عن الذهب في الصحراء الشرقية. فقد تم مؤخراً اكتشاف موقع يعود للعصر الحجري القديم في منخفض الهدي على بعد حوالى 70 كلم شمال شرق مدينة عطبرة، تولى التنقيب فيه بعثة بقيادة خبير الآثار م. ماسوج (M. Masojc) من جامعة وأرسو البولندية وقد شارك في التنقيب عدد من علماء الآثار السودانيين[2]. وأطلق على المشروع مسمى EDAR وهو اختصار لعبارة River Eastern Desert Atbara

قام بتمويل المشروع جهات متعددة، من بينها معاهد أبحاث كورية يمثلها المعهد الكوري للجيولوجيا، وجهات سودانية تمثلها شعبة الآثار بجامعة النيلين. حقق المشروع نتائج في غاية الأهمية تتعلق بالعصر الحجري القديم المبكر « الأشولي « والمتوسط. الموقع من حيث طبيعته الجيومورفولوجية رسوبي متعدد الطبقات يبلغ عمقه حوالى الخمسة أمتار. في الطبقات العليا عثر على أكثر من أفق من الأدوات تنتمي للعصر الحجري القديم المتوسط. التواريخ المختبرية للطبقات العليا أعطت أزماناً تتراوح بين 60000 إلى220000 سنة مضت تمثل القديم الأوسط. في أسفل الطبقات تم العثور على أدوات تعود للعصر الحجري القديم الأسفل (الأشولي) وقد أعطت توريخاً 400000 (أربعمائة ألف) هو الأقدم في هذا الجزء من القارة الإفريقية.

مـن جهـة أخـرى وفي بحـث مشـترك لعـدد مـن العلـماء مـن بينهـم رئيـس البعثـة المذكـورة أعـلاه تـم الربـط بـين إنسـان هـذا الموقـع وبـين هجـرات الإنسـان المنتصـب ومـن بعـده الإنسـان العاقـل إلى أوروبـا عـبر سـيناء وشـمال إفريقيـا، وعـبر البحـر الأحمـر أو بـاب المنـدب إلى آسـيا. وخلـص فريـق العلـماء نفسـه إلى أن الحيـاة في الصحـراء الشرقيـة كانـت ممكنـة خـلال الفـترات الدافئـة والمطـيرة التـي حدثـت خـلال عـصر البلايستوسـين وأن الصحـراء الشرقيـة لم تكـن صحـراء جـرداء قاحلـة كـما هـي حالتهـا اليـوم بـل كانـت تتوفـر فيهـا ميـاه وفـيرة خـلال الفـترات المطـيرة، وبالتـالى توفـر نتيجـة لذلـك غطـاء نبـاتي وثـروة حيوانيـة متنوعـة كافيـة لاسـتيطان البـشر [3].

مـن ناحيـة أخـرى أبانـت تنقيبـات عديـدة أجرتهـا البعثـة الإيطالـة في شرق السـودان وجـود علاقـات وصـلات بـين سـكان الصحـراء الشرقيـة وسـكان وادي النيـل في مـصر والسـودان وهـو مـا أكدتـه الكتابـات والنقـوش التـي سـنتعرض لهـا في هـذا البحـث. أكـدت كذلـك وجـود علاقـات بينهـم وبـين سـكان الجزيـرة العربيـة في الـبر الشرقـي للبحـر الأحمـر.

أصل البجا

أولاً :أصل المسميين (مدجا) و (بليميون):

يعتقد كثير من العلماء أن الشعب الحديث المعروف ب « البجا « الذي يسكن الصحراء الشرقية الآن هم أحفاد المدجاي المذكورين في كتابات مصرية قديمة تؤرخ أقدمها للأسرة المصرية السادسة (حوالى -2345 2181 ق. م). ومعلوم أن قدماء المصريين خلال حقبة زمنية محددة أطلقوا على سكان الصحراء الشرقية اسم مدجاي وعلى موقع سكناهم اسم مدجا. و تعبير «أحفاد « هنا لا نقصد به المعني الجيني للفظة وإنما المقصود به بدهاً هو أن الشعبين، المدجاي القدماء والبجا الحديثين، سكنا نفس المنطقة،أي الصحراء الشرقية، هذا فضلاً عن الاشتراك والشبه في السلوك وطبيعة الحياة والعادات والتقاليد بين المدجاي (قدماء البجا) كما وصفها الإغريق والرومان والعرب وبين عادات و تقاليد البجا الحاليين كما نرصدها ونشاهدها الآن، وكذلك احتمال وجود شبه بين لغتي المدجاي والبجا الحديثين. كذلك اعتقد جمهور العلماء أن الشعب المذكور في الكتابات القديمة سواء مصرية، إغريقية، قبطية باسم بلهمو- برهمو، أو بليميين أو بالنموي، أصبحوا يُعرفون لاحقاً ب البجا، بينما اختفت تلك المسميات عدا القبطية.

ومما يقوي فكرة مساواة البجا بالبليميين، بل يحسمها،أنه وجدت كتابات بالإغريقية تعود للقرن العاشر الميلادي كتبها المؤرخ كوسموس ذكرت البجا في متن العمل؛ ثم أضافت معلومة على سبيل الشرح في هامش النص تقول إن البجا هم البليميون4.شبيه بعمل كوسموس مقاربة أخرى ذكرها بلملي ؛في رسالة باللغة العربية اكتشفها في قصر إبريم والتي تكاد تكون ترجمة حرفية لنص قبطي ذُكر فيه البليميون، تم فيها تعديل « بليميون» إلى « بجا « [5]. كل ذلك يدلل على أن البليميين شعبة أو بطن من بطون البجا بدأوا في لعب أدوار مهمة في الفترة الرومانية وما بعد.

وهكذا نخلص إلى أن قولنا أو إشاراتنا إلى البجا القدماء أو قدماء البجا في هذا البحث نقصد به المدجاي والبليميين، بل وكل الشعوب التي سكنت الصحراء الشرقية في تلك الفترة القديمة مثل التروقوديت والميقاباروي وغيرهم، وإن كان هؤلاء الأخيرين لم تتوفر عنهم معلومات كافية كما توفرت عن المدجاي والبليميين.

أما احتمال إنحدار الاسم بجا الحديث من المصرية مدجا نسبة للشبه اللفظي

الملحـوظ، فهـو أمـر اختلـف بشـأنه العلـماء ؛ فهنـاك مـن ذهـب لوجـود علاقـة و هنـاك مـن رفـض وجـود أي علاقـة. عـالم اللغـات الفرنـسي كلـود ريـلي مثـلاً لا يسـتبعد وجـود علاقـة لغويـة، ويقـول إنـه مـن الجائـز جـداً انحدارالاسـم بجـا الحديـث مـن المـصري مدجـا- مدجـاي [6]. مـن جهـة أخـرى يعتقـد الخبـير بيخـاوس- ڤيرسـت بعـدم وجـود علاقـة لغويـة حتـى في ظـل وجـود علاقـة شـبه بـين لغـة البجـا القدمـاء والبجـا الحديثـين [7].

هنـاك خـبراء في اللغـة المصريـة يعتقـدون أن المسـمى مدجـاي لـه معنـى في اللغـة المصرية؛الأسـتاذة مشـو- كولومبـو مثـلاً قالـت إن أصـل الاسـم يرجـع للفظـة مصريـة م- دجـاي (m-d3y) التـي تعنـي « العابـرون». وتضيـف إن المنطقـة المقصـودة بالعبـور هـي المنطقـة بـين النيـل والبحـر الأحمـر والتـي تتمثـل في مـا صـار يعـرف ب الصحـراء الشرقيـة أو النوبيـة [8].

أمـا معنـى الاسـم بليميـون فقـد اعـترف العلـماء بصعوبـة وجـود تفسـير لـه، فاعتـبره بعضهـم معضلـة حقيقيـة. فبعـد أن ابان أن اللفظـة المصريـة الديموطيقيـة بلهمـو والإغريقيـة بصيغـة الجمـع **Βλέμμυες** والقبطيـة , Balnemmôui ,Βαλνεμμωογι كلهـا مترادفـات تشـير لنفـس الجماعـة، وأن الإغريقيـة مشـتقة مـن الديموطيقيـة، اقـترح العـالم فايسيشـل (Vycichl) بـأن الاسـم في شـكله المـصري الديموطيقـي بلهمـو ربمـا استمرمسـتخدماً منـذ ظهـوره لأول مـرة إلى يومنـا هـذا في بعـض المواقـع المصريـة. فقـد عُـرف عـن سـكان الأقصرالحاليـين اسـتخدامهم تعبـير بلهـم يبلهـم، بمعنـى يتحـدث بلغـة غـير مفهومـة. وبالرغـم مـن أن فايسيشـل لم يتـبن هـذا التفسـير، إلا أنـه وجـد استحسـاناً وقبـولاً مـن الأسـتاذ كريسـتيد [9]. ونحـن بدورنـا وجدنـاه مناسـباً ونعتقـد أن الإغريـق أخـذوا الاسـم مـن المصريـين في وقـت مـا خـلال الفـترة البطلميـة. ومـن خـلال هـذا الفهـم يمكـن تفسـير معنـى لفـظ « بليميـون « بأنـه يعنـي جماعـات تتحـدث بلغـة غـير مفهومـة [10].

هـذا عـن معنـى الاسـم وأشـكاله، أمـا عـن شـموله فالراجـح أن اسـم البليميـين لم يكـن شـاملاً لجميـع سـكان المنطقـة التـي يسـكنها البجـا إنمـا اختـص بشـعبة واحـدة منهـم لا سـيما أولئـك القريبـين مـن الحـدود الجنوبيـة لمـصر والذيـن سـيطروا عـلى مـوارد الزمـرد في الصحـراء الشرقيـة واحتلـوا إقليـم دودي كاسـخوينوس في النوبـة السـفلى عـلى أيـام الرومـان في مـصر. هـؤلاء شـكلوا بمـرور الزمـن طبقـة أرسـتقراطية اسـتطاعت عـلى مـدي نحـو ثمانيـة قـرون أن تسـيطر عـلى مجموعـات كثـيرة مـن البجـا الشـماليين وأن تسـتخدمهم لتحقيـق مصالحهـا التوسـعية والاقتصاديـة [11]. أمـا سـكان الصحـراء الشرقيـة في الداخـل، القريبـين مـن السـاحل أو القاطنـين في المناطـق الجنوبيـة فقـد أشـارت إليهـم المصـادر الإغريقيـة بمسـميات

مختلفـة ؛ أشـهرها الترقولديـت. الجنوبيـون منهـم ظهـروا في المصـادر الأكسـومية تحـت مسـمى بوجـا أو بوجايـت. وسـنعود للتفصيـل عـن هـؤلاء في مـكان آخـر مـن هـذا البحـث.

لتقريـب فكـرة إن « بليميـون « هـو اسـم لشـعبة مـن شـعب البجـا، دعونـا ننظـر في أفـرع وشـعب قبائـل البجـا الحاليـة. تتكـون قبائـل البجـا اليـوم مـن خمسـة مجموعـات يطلـق عليهـا في السـودان مسـمى نظـارات البجـا وهـي : الهدنـدوة، والأمـرار والبشـارين والحلنقـة والبنـي عامـر. وهـؤلاء ينقسـمون لمجموعتـين رئيسـيتين؛ الأولى جنوبيـة ويمثلهـا اليـوم البنـي عامـر. هـذه الأخـيرة رغـم أن جوهرهـا حامـي (إفريقـي) إلا أنهـا لم تختلـط بالعنـاصر السـامية التـي هاجـرت للمنطقـة في زمـن موغـل في القـدم مـن جنـوب الجزيـرة العربيـة، لكنهـا أخـذت منهـم لغتهـم حيـث تعتـبر لغـة البنـي عامـر (التجـراي) لغـة سـامية الأصـل. بقيـة نظـارات البجـا تنتمـي للمجموعـة الشـمالية التـي تتحـدث اللغـة التبداويـة الحاميـة. بالرغـم مـن ذلـك اختلطـت هـذه المجموعـة الشـمالية بالغـزاة العـرب الذيـن دخلـوا بلادهـم مـن الشـمال عـن طريـق مـصر فتسربـت إليهـم دمـاء عربيـة أثـرت في تعديـل بعـض صفاتهـم الجسـمانية مـع تمسـكهم بعاداتهـم الأصليـة ولغتهـم التبداويـة.

ثانياً الأصل العرقي للبجا:

أثبتـت التجـارب البحثيـة أن البحـث في موضـوع الأصـل العرقـي للشـعوب أو حتـى القبائـل والمجموعـات يتسـم دائمـاً بصفـة الجدليـة وعـدم الاتفـاق بـين العلـماء والباحثـين. و بالرغـم مـن قناعتنـا بعـدم وجـود اختلافـات بيولوجيـة ذات قيمـة بـين البـشر كـما أثبتـت الدراسـات العلميـة الحديثـة، لكننـا نجـد أنفسـنا مضطريـن لمجـاراة الآخريـن الذيـن لا يسـتطيعون الانفـكاك عـن اسـتخدام مفهـوم العـرق بمعنـاه القديـم الـذي يعتقـد بوجـود أعـراق راقيـة ونقيـة وأخـرى أقـل منهـا نقـاءً. فالعلـم الحديـث أثبـت أن كل البشريـة ترجـع لأصـل واحـد هوالإنسـان العاقـل (Homo sapiens) وأن جميـع الأعـراق التـى تـم تصنيفهـا أو تسـميتها تشـترك في حـوالى 99+. 99 % مـن الخصائـص الجينيـة.

يعتمـد علـماء الأنثروبولوجيـا اليـوم ثلاثـة أو أربعـة أعـراق رئيسـة تـم تصنيفهـا بالأسـاس عـلى شـكل الجمجمـة، وشـكل الوجـه وتفاصيلـه بخاصـة الأنـف والفكـين والشـفاه. تلـك الأجنـاس هـي:-

1. القوقازي و موطنه أوروبا.
2. المنغولي وموطنه آسيا.
3. الزنجـي و موطنـه إفريقيـا. وأحيانـاً يضيفـون جنسـاً رابعـاً هـو الأسـترال لويـد وموطنـه أسـتراليا.

لم يتفق مؤرخو البجا المحدثون حول الأصل العرقي لشعب البجا الحديث. في دراسة كتبها أ. بول (A. Paul) نشرت في العام 1954 أورد الكاتب مقولةلمؤرخ مجهول من مؤرخي قبيلة الامرأر البجاوية تقول إن البجا ينحدرون من كوش ابن حام ابن نوح وقد وصلوا للسودان بعد الطوفان الذي ضرب العالم المسكون في زمن سيدنا نوح عليه السلام. علق الأستاذ بول على هذه المقولة بقوله: إن هذا الرأي لا يمكن قبوله، وأن غالبية العلماء متفقون أن البحا شعب حامي، وصلوا إلى وطنهم الحالي الواقع بين النيل والبحر الأحمر من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر في زمن بعيد قبيل وصول الاحتلال المصري للنوبة السفلى في العصر النيوليثي [12].

جدير بلفت انتباه القارئ أن حام الذي أشار إليه مؤرخ الامرأر كان، بحسب سفر التكوين في الكتاب المقدس، رجلاً أسوداً، والحاميون بحسب المفاهيم التوراتية هم شعب أسود توجهوا بعد الفيضان صوب القارة الإفريقية. أما الشعب الحامي الذي أشار إليه الأستاذ بول (ومعه الشعب السامي) فهو يعتبر، بحسب النظرية الأوربية المركزية، فرع من العرق القوقازي. هذه النظرية المثيرة للجدل تجعل الحاميين ناقلي الحضارة الأوربية إلى شرق إفريقيا تحديداً.

فيما يتعلق بالصحراء الشرقية قال بول إن هجرة من الحاميين عبرت البحر الأحمر حوالى سنة 4000 سنة ق.م. واحتلت كل المنطقة بما في ذلك وادي النيل، ومن هؤلاء انحدر البجا الحاليون. نسب بول للمهاجرين الحاميين الرسومات الصخرية التي تبين أنهم كانوا رعاة أبقار ؛ ووصف أسلحتهم والحيوانات التي كانوا يصطادونها. مستنداً على مجموعة أخرى من الرسومات الصخرية أيضاً قال بول إن السكان الأوائل الأقدم للصحراء الشرقية لا ينتمون للبجا، بل ينتمون لسلالة بدائية من الصيادين كانت تتسلح بأقواس كبيرة وكانت لهم معرفة بالحيوانات الوحشية مثل الأفيال والتماسيح والزراف ؛ رسوماتهم تبين ضعف مقدراتهم الفنية، لكنه لم يذكر لأي عرق أو سلالة ينتمي هؤلاء السكان الأوائل. خلاصة نظرية بول إن البجا الحديثين يمثلون سلالة حامية غازية وصلت للمنطقة حوالى عام 4000 ق. م. قادمة من الجزيرة العربية.

أورد بول رأياً للخبير سيليغمان بأن بجا البني عامر هم الشُعبة الأقل تغيراً من غيرها من شُعب البجا، وأنهم الأقرب شبهاً من حيث الصفات العرقية بقدماء المصريين في عصر ما قبل الأسرات) حوالى 4000 ق.م.). ومعلوم أن مصريي ما قبل الأسرات قد نُسبوا لسلالة عرقية أطلق عليها مسمى العرق البني أو سلالة شعوب

البحـر المتوسـط ووصفـت بأنهـا بنيـة، لا بيضـاء ولا سـوداء كـما أنهـا لم تتكـون نتيجـة لخلطـة بـين العرقـين الأبيـض والأسـود بـل هـي أصليـة [13] .

جديـر بالذكـر إن دراسـة سـيليغمان أجريـت عـلى مجموعـة بيجاويـين عاشـوا في العقـد الثـاني مـن القـرن المـاضي ؛ بمعنـى أنـه يفصـل بينهـم وبـين الزمـن الـذي عـاش فيـه قدمـاء البجـا عـشرات القـرون مـن الزمـان. برأينـا أنـه لا يجـوز الاسـتدلال بهـذه الدراسـة في الاهتـداء لأصـول البجـا القدمـاء لسـبب بدهـي وهـو أنـه لا شـك قـد حـدث خـلال هـذه الفـترة الطويلـة كثـير مـن التصاهـر والاختـلاط بـين شـعب البجـا وشـعوب أخـرى مـن أعـراق مختلفـة أقامـت في الصحـراء الشرقيـة عملـت عـلى تعديـل تركيبتهـم العرقيـة. نخلـص إلى أن محاولـة بـول تصنيـف البجـا كحاميـين بمنهـج المركزيـة الأوربيـة لا تبـدو مقنعـة ؛ والمهـم أنـه نظريتـه لم تجـد القبـول لا مـن مؤرخـي البجـا الوطنيـين الذيـن كانـت لهـم آراء مختلفـة ولا مـن كثـير مـن الباحثيـين الغربيـين.

المـؤرخ البجـاوي محمـد صالـح ضرار بعـد أن أورد عـشرات الآراء حـول أصـل البجـا قال بهـا مؤرخـون عـرب أو يهـود أو غربيـين، أو توصـل إليهـا علـماء آمتخصصـون بعـد دراسـتهم لهيـاكل مـن قبـور لبجاويـين، خلـص إلى أن البجـا أمـة سـامية عربيـة [14]. الأسـتاذ كريسـتيد أورد أدلـة إبيغرافيـة لرسـام اسـمه أمونيـوس عـاش خـلال القرنـين الرابـع والخامـس الميلاديـين تبـين أن البليميـين كانـوا شـعباً أسـود البـشرة ذي ملامـح زنجيـة، أنـوف قصـيرة و شـعر مجعـد [15]، وربمـا مـا جـاء في هـذا المصـدر هـو الأقـرب للصـواب.

أدوار البجا القدماء عبر الحقب التاريخية المصرية القديمة

أولاً بجا المدجاي:

المدجاي من الأسرة السادسة إلى الأسرة العشرين:

أ- عصر الدولة المصرية القديمة، تحديداً الأسرة السادسة:

تقول الخبيرة في اللغة المصرية القديمة مشو- كولمبو إن أصل الاسم مدجا يرجع للفظة مصرية م- دجاي m-d3y)) التي تعني « العابرون». والمنطقة المقصودة بالعبور هي المنطقة بين النيل والبحر الأحمر والتي تتمثل في ما صار يعرف ب الصحراء الشرقية أو النوبية. هذه المنطقة كانت تمر عبرها، وليس بالضرورة تقيم فيها إقامة دائمة، العديد من الشعوب القديمة من أصول سامية أو حامية. وقد وصلتنا عبر نصوص مصرية أسماء بعض هذه الشعوب مثل النحسو والمدجاي والعامو والماقو واليونتايو وربما آخرين، تجمع بينهم جميعهم صفة البداوة. تضيف الكاتبة إن اللفظ مدجا ارتبط كذلك بالمعبودة المصرية « مدجا « إلاهة المراكب، ابنة الإله رع المذكورة في متون الأهرام [16].

أقدم نص مصري ورد فيه لفظ مدجا هو نقش ملكي جاء من دهشور يعود تاريخه لعهد الملك مري رع بيبي الأول، ثالث ملوك الأسرة المصرية السادسة (حكمت حوالى 2345 – 2181 ق.م.). وجدت نقوش أخرى تركها خليفة بيبي الأول الملك مري ن رع في صخور الشلال الأول ذكرت أن الملك جاء بنفسه إلى هناك وقابل زعماء عدد من القبائل السودانية أو زعماء المشيخات أشار إليها باسمائها وهي واوات، و إرجت، ومدجا. وجاء في النقش إن زعماء (بالمصري حقاو) هذه المناطق قدموا للملك المصري فروض الولاء والطاعة [17].

وجدنا المسمى « مدجا» في نقش آخر تركه حاكم مصر العليا، المدعو وني الذي عمل أيضاً تحت الملك مرى ن رع. ذكر وني أن القوة التى حارب بها بدو الصحراء كانت تحتوي على مجندين من « نحسو إرجت، ونحسو مدجا، ونحسو يام ونحسو كاعو ومن بلاد الطمياح «. في مكان آخر من النقش ذكر هذا الموظف أن الملك كلفه بعمل عدد من االمراكب الكبيرة من خشب السنط الموجود في واوات لاستخدامها في

نقـل حجـر الجرانيـت السـوداني إلى مـصر. وقـال وني إن زعـماء (حقـاو) واوات و إرجـت و مدجـا ويـام شـاركوا في عمليـة تجهيـز الخشـب. نكتفـي بهـذه الإشـارات للموقـع مدجـا وأهلـه المدجـاي، لكـن في واقـع الأمـر توجـد مصـادر إضافيـة مـن هـذه الحقبـة ومـن حقبـة الدولـة الوسـطى والحقبـة التـي تلتهـا يمكـن الرجـوع إليهـا [18].

استنتاجات و خلاصات:

الإشـارات لمدجـا أوللمدجـاي في النصـوص المذكـورة أعـلاه تمكننـا مـن الوصـول لبعـض الاسـتنتاجات والخلاصـات المهمـة عـلى رأسـها إن معرفـة مصريـي الدولـة القديمـة بسـكان الصحـراء الشرقيـة كانـت محـدودة جـداً حيـث لا تتجـاوز الفهـم العـام بأنهـم بـدو رعـاة يتنقلـون بحيواناتهـم مـن مـكان لآخـر بحثـاً عـن المرعـى والـكلأ. لكـن المصريـين لا يعرفـون مراكزهـم الداخليـة كـما يجهلـون تقسـيماتهم الإثنيـة وكذلـك يجهلـون نظمهـم وعاداتهـم بـل ويجهلـون حتـى الاسـم الـذي تطلقـه الجماعـة عـلى نفسـها. ومعلـوم أن البجـا الحاليـين أخـذوا اسـمهم هـذا مـن العـرب، فهـو لا أصـل لـه في لغتهـم ولا في تاريخهـم المحـلي. وجديـر بالذكـر أن مـكان لقـاء مصريـي الأسرة السادسـة بهـذه الجماعـة التـي أسـموها المدجـاي كان بالقـرب مـن الشـلال الأول ؛ بعبـارة أخـرى المـكان في وادي النيـل وليـس في الصحـراء. والاسـم الـذي أطلقـه المصريـون عليهـم يـدل عـلى أنهـم بالنسـبة للمصريـين غربـاء أو عابـرون كـما فصلنـا في معنـى اللفظـة الأصـلي، وأن مواطنهـم الأصليـة بعيـدة عـن مـرأى المصريـين، في داخـل الصحـراء. وعليـه فـان الاسـم مدجـاي في هـذه المرحلـة كان اسـماً مبهمـاً يشـير لجماعـة بدويـة تمـارس حيـاة رعويـة في الصحـراء. وعليـه نعتقـد إن وجـود زعيـم المدجـا في وادي النيـل كـما ورد في سـيرة حاكـم مـصر العليـا وني ليـس بالأمـر المسـتغرب، وربمـا كانـت مسـألة حضـوره لمقابلـة حاكـم الصعيـد وني قـد تـم الترتيـب لهـا مسـبقاً. لكـن ليـس هنـاك مـا يشـير إلى أن زعـماء هـذه البـلاد السـودانية، سـواء المدجـا أو غيرهـا (واوات، إرجـت إلـخ) كانـوا خاضعـين للحكومـة المصريـة في أي وقـت خـلال الدولـة القديمـة.

ب - فترة الاضمحلال الأولى (-2181 2050 ق.م.) :

بنهايـة الأسرة السادسـة دخلـت البـلاد المصريـة في مرحلـة مـن الضعـف بسـبب انعـدام الوحـدة المركزيـة وتسـبب ذلـك في انـدلاع حـروب أهليـة بـين الأمـراء المتنافسـين والمتصارعين عـلى السـلطة. هـذه الحقبـة عرفـت باسـم فـترة الاضمحـلال الأولى أو عـصر الانتقـال الأول وشـملت الأسرات مـن السـابعة إلى العـاشرة. تشـير المصـادر إن الأمـراء المتصارعين اسـتخدموا

في صراعاتهـم ضـد بعضهـم البعـض مقاتلـين سـودانيين أشـاروا إليهـم ب النحسـاو وتعنـي السـود أو السـمر. وربمـا شـمل هـذا اللفـظ الغـير محـدد المدجـا 19. بعـض التصاويرالتـي وصلتنـا تظهـر مقاتلـين مدجـاي مـع مقاتلـين مـن إقليـم واوات، والأخيرهـو منطقـة سـودانية نيليـة تحـادد صعيـد مـصر.

ج_ - عصر الدولة المصرية الوسطى: (-2050 1786 ق.م.)

بـدأت الإشـارات للمدجـاي تـزداد في زمـن الدولـة الوسـطى. فقـد كـثرت الإشـارة إليهـم في نصـوص تُعـرف ب « تقاريـر سـمنة « وهـي عبـارة عـن تقاريـر رسـمية تـؤرخ لعهـود ملـوك الأسرة الثانيـة عـشرة بـدءاً بسـنوسرت الثالـث ومـا بعـده تعتـبر هـذه التقاريـر المصدر الأسـاسي لمعلوماتنـا عـن المدجـاي في حقبـة الدولـة المصريـة الوسـطى.

قـام ملـوك الأسرة الثانيـة عـشرة باحتـلال إقليـم النوبـة السـفلى الـذي كانـت تقطنـه مجموعـات سـودانية تركـت ثقافـة ماديـة أسـماها رجـال الآثـار ب ثقافـة المجموعـة ج. يقـع هـذا الإقليـم بـين الشـلالين الأول والثـاني. شـيد ملـوك مـصر في هـذه المنطقـة، عـلى ضفتـي النهـر، وفي جـزره عـدد اً مـن القـلاع الطينيـة الضخمـة بهـدف تحصينـه ولتحقيـق عمـق إسـتراتيجي وأمنـي للدولـة المصريـة. ولقـد تـم عـن طريـق التنقيـب اكتشـاف أربعـة عـشرة قلعـة. كـما عُـثر عـلى برديـة في مبنـى الرامسـيوم بالاقـصر تذكـر سـبعة عـشرة قلعـة لـكل واحـدة منهـا اسـمها الخـاص بهـا. مـن الأسـماء التـي أسـموا بهـا القـلاع مثـلاً قاهـرة الخاسـتايو، قاهـرة المدجـاي، تلـك التـي تصـد العانـو وهكـذا. تأكـد للعلـماء أن القـلاع المذكـورة في البرديـة هـي نفسـها التـي شـيدت في أرض المجموعـة ج. تتركـز عـشرة مـن القـلاع في منطقـة الشـلال الثـاني وتقـع كلهـا، باسـتثناء قلعـة كمـة، عـلى الضفـة الغربيـة لنهـر النيـل أو في الجـزر. مـن أهـم القـلاع اثنتـان في سـمنة (سـمنة جنـوب وسـمنة شـمال). مـن بـين الأربعـة المتبقيـات توجـد واحـدة عنـد مدخـل وادي العلاقـي في الضفـة الشرقيـة. مـن موقـع القلعتـين في سـمنة ومـن قـلاع أخـرى جـاءت مجموعـة مـن التقاريـر عـن سـكان الصحـراء الشرقيـة. مـن بعـد دراسـتها ونشرهـا أطلـق عليهـا الباحـث النـاشر ، سـميذر، مسـمى تقاريـر سـمنة [20].

تقاريـر سـمنة إذاً عبـارة عـن كتابـات رسـمية كان يبعـث بهـا مسـئولون مصريـون مقيمـون في القـلاع المصريـة التـي تـم تشـييدها في أرض أصحـاب المجموعـة ج في النوبـة السـفلى. كانـت لموقـع سـمنة أهميـة خاصـة حيـث جعلـه الملـك سـنوسرت الثالـث الحـد

الجنـوبي للدولـة المصريـة لا يسـمح بتجـاوزه للسـودانيين القادمـين مـن جهـة الجنـوب باسـتثناء السـفراء والتجـار القاصديـن قلعـة مرقسـة.التقارير القادمـة مـن القـلاع كانـت كلهـا موجهـة لمسـئول مـصري رفيـع مقيـم في طيبـة. تتحـدث بعـض تقاريـر سـمنة عـن تحـركات جماعـات سـودانية، بعضهـم وصفـوا ب النحسـو وآخـرون ب المدجـاي. هـذه الجماعـات كانـت تـأتي لأغـراض مختلفـة مـن بينهـا عـرض بضاعتهـم ومقايضتهـا ببضائـع سـكان وادي النيـل. نقـرأ في بعـض التقاريـر تفاصيـل دقيقـة عـن تحـركات هـذه الجماعـات ومحـاولات المصريـين تعقـب آثارهـم وآثـار حيواناتهـم.

مـن بـين التقاريـر التـي تتحـدث عـن المدجـاي تقريـر رفعـه مسـئول مـن قلعـة إلفنتينـي حـكى فيـه قصـة رجلـين مـن المدجـاي وثلاثـة مـن نسـائهم حـضروا للقلعـة وقالـوا إنهـم يرغبـون في الحصـول عـلى وظيفـة مـع المصريـين. وقـد اشـتكوا للموظـف المـصري مـن سـؤ الأحـوال في الصحـراء وحالـة الفقـر التـي يعيشـون فيهـا. وقـد قـام المسـئول المـصري بالتحقيـق معهـم لمعرفـة أصلهـم. فسـألهم مـن أيـن أتـوا. فـكان ردهـم أنهـم جـاءوا مـن بـئر إبحـت. وملاحظتنـا عـلى الإجابـة أنهـم لم يقولـوا إنهـم أتـوا مـن مدجـا، أو بـلاد مدجـا مـما يعنـي أن الاسـم المـصري مدجـا الـذي يطلقـه المصريـون عـلى بلادهـم أمـر لا يخصهـم. هـذه النتيجـة أو الخلاصـة تقبلهـا كثـير مـن العلـماء الذيـن قالـوا إن الاسـم مدجـا في حقبـة الدولة المصريـة الوسـطى تحديـداً لم يكـن مفيـداً لتحديـد منطقـة جغرافيـة محـددة تسـكنها جماعـة بقيـادة زعيـم أو حاكـم يمكـن أن تخاطبـه السـلطات المصريـة وتطلـب منـه دفـع الضرائـب مثـلاً. وثائـق مصريـة مختلفـة تعـود لهـذه الحقبـة ذاتهـا تبـين أن الجهـات التـي يتـم تحصيـل ضرائـب منهـا في الصحـراء تتخـذ أسـماء محـددة. كمثـال الكتابـات المعروفـة ب نصـوص الإبعـاد execration texts)) تذكـر بـلاداً معينـة في الصحـراء الشرقيـة مثـل وبـت - سـبت، أوشـاك و إبحـت، كان زعماؤهـا يحـضرون بأنفسـهم لتسـليم مـا عليهـم مـن إتـاوات للمسـئولين المصريـين [21].

بعـد اكتسـاح الملكـين المصريـين سـنوسرت الأول والثالـث أرض النوبة السـفلى واحتلالها بـدأت تغـيرات تحـدث عـلى الصعيـد الاجتماعـي. فبعـد فـترة مـن المعايشـة والتداخـل والتعامـل مـع مصريـي الدولـة الوسـطى، وجدنـا سـكان الصحـراء الشرقيـة يتقبلـون تصنيـف المصريـين لهـم بأنهـم مدجـاي. وقـد عملـت سياسـة سـنوسرت الثالـث الإمبرياليـة عـلى تحديـد الفـرق بـين النحسـاو والمدجـاي وذلـك مـن خـلال اللـوح الـذي نصبـه في سـمنة وحـدد فيـه حـدود مـصر الجنوبيـة في سـمنة وأصـدر فيـه فرمانـه الشـهير بمنـع أي نحسـو مـن عبـور سـمنة إلا في حـالات محـددة. إن فرمـان سـمنة يعتـبر مـن الناحيـة السياسـية تمييـزاً إيجابيـاً للمدجـاي لأنـه لم يمسـهم بسـؤ.

أما بئر إبحت التي هي قطعاً بلدة أو قرية في الصحراء الشرقية، فقد اختلف الكتاب في تحديد موقعها. الأستاذة مشو-كولومبو تعتقد إن إبحت هي أبيار وادي حمامات في الصحراء الشرقية المصرية. من ناحية أخرى تعتقد الكاتبة ليزسكا وآخرون أن إبحت تقع في وادي العلاقي في الصحراء الشرقية السودانية على بعد حوالى 200 كلم شمال- شرق قلعة مرقسة.

بالعودة لتقرير مسئول قلعة إلفنتيني، لسؤ حظ القادمين من بئر إبحت، رفض المصريون توظيفهم وطلبوا منهم العودة من حيث أتوا. لكن هذه المحاولات لطلب العمل مع المصريين تكررت حتى أفلح المدجاي أخيراً في الحصول على ما يبتغون ، فاستخدمهم المصريون في وظائف كان المدجاي يجيدونها مثل وظيفة دليل االقوافل الصحراوية، ووظيفة عساكر مقاتلين أوعساكر شرطة أو حتى في التعدين عن الأحجار الكريمة في الصحراء شرق أسوان في وادي الهدي.

هذا عن رجال المدجاي، فماذا نعرف عن نسائهم ؟

تفيد مصادر من عهد الملك منتوحوتب الثاني (توفى حوالى 2010 ق.م) خامس ملوك الأسرة الحادية عشرة، أن زوجته المسماة أشايت كانت تحتفظ بثلاث وصيفات من نساء المدجاي، وعليه نعتقد أن وظيفة الوصيفة أو خادمة المنازل ربما كانت من الأعمال التي مارستها نساء المدجاي في المدن المصرية.

د. فترة الاضمحلال الثانية: وتتكون من الأسرات 13 إلى 17. (-1786 1552 ق.م.):

في زمن الأسرة 13 وصل وفد من المدجاي إلى مصر من جهة تسمى أوشاك أو أوشيك لمقابلة ملك مصر. بعض الباحثين يعتقد بأن أوشاك هذه مملكة من ممالك المدجاي وتقع في الصحراء الشرقية. ماذا نستنتج إذا صحت هذه النظرية ؟ هل يعني ذلك أن سكان الصحراء كانوا منظمين في شكل ممالك وإمارات في ذلك الوقت البعيد؟ من الجائز جداً، اعتماداً على روايات كلاسيكية تحدثت عن بجا الترقلوديت أن القبائل كان لها زعماء يتميزون عن الرعايا ببعض المزايا. سنفصل في هذا الموضوع عند تناولنا قبيلة التروقوديت في مكان آخر من هذا البحث. تتوفر معلومات جيدة عن علاقة المدجاي بأمراء الأسرة 17. فقد ابتدر الأمير سكنن رع تاو الثاني والد الأمير كاموسي (حكم حوالى سنة 1550 ق.م.) ابتدر حرب التحرير ضد المحتل الهكسوسي. وتبين المصادر أن كاموسى استخدم المدجاي الذين اشتهروا خلال الفترة السابقةبإجادتهم لمهنتين ؛ الأولى مهنة مقاتلين مشاة في مقدمة الجيوش. فالمعروف عنهم أنهم تخصصوا في الأسلحة الخفيفة مثل القوس والسهام، وفي الوقت

ذاته عرفوا ببراعتهم وحبهم لقتال المواجهة لدرجة الاشتباك بالأيدي. المهنة الثانية هي المهارة كأدلاء للحملات و للمبعوثين في الصحاري والواحات .

عقب كاموسي على العرش أخوه أحموسي (-1550 1070 ق.م.) مؤسس الأسرة الثامنة عشرة. تذكر المصادر أن المدجاي شاركوا في جيش أحموسي الذي اضطلع بمهمة مهاجمة أواريس عاصمة الهكسوس. بعد أن تم طرد الهكسوس تم استيعاب المدجاي في وظائف الشرطة والكشافة. بعد نهاية الحرب بطرد الهكسوس خارج مصر صار المدجاي بمثابة العمود الفقري للجيش والشرطة المصرية. ووصل بعض قادتهم لمناصب رفيعة جداً في الحكومة المصرية.

هـ.عصر الدولة الحديثة : (-1567 1085 ق.م. تتكون من الأسرات 18، 19 و20):

بعد قيام الدولة الحديثة ارتبط المدجاي ارتباطاً وثيقاً بالعسكرية وأصبحوا من النخب العسكرية، كما ابتعد المسمى مدجاي عن المفهوم الإثني الذي ساد خلال الفترات السابقة. وبالتدريج أصبح لفظ مدجاي مرادفاً للفظة عسكري أوشرطي. تبين مصادر الدولة الحديثة إن المناطق التي انتشر فيها المدجاي تقع في الصحراء شرقي مدينة قفط وأسوان و وادي الهدي. لكن أشارت مصادر أخرى من عهد تحوتمس الرابع لوجودهم في منطقة شرق الدلتا، وقد ذكرت ثلاثة مواقع هي: تجارو (Tjaru) و تجيكو (Tjekw) و سرابيت الخديم. إضافة للعمل العسكري كمقاتلين، كانت السلطات المصرية تكلف رجال المدجاي بمهام رجال الشرطة مثل حراسة المناطق المهمة في المدن الكبيرة كالجبانات الملكية في وادي الملوك بالأقصر. من ناحية أخرى كان يتم تكليفهم بحراسة المناطق الحدودية للدولة المصرية كحرس حدود.أيضاً تم استخدامهم كمعدنين، وبنائين، وسائقي مركبات ومبعوثين يحملون رسائل المسئولين إلى أماكن مختلفة، داخل و خارج مصر، أو أدلاء للقوافل والفرق العسكرية والحملات كما كان سابقاً. في عهود الرعامسة الأواخر لوحظ استخدام المدجاي في فلاحة الأرض وزراعتها 22.

كان لكل فرقة منهم قائد يتخذ اللقب المصري (Wr Mdj3)لكن من الممكن أن يرتقي أحدهم لمرتبة أعلى لا تعطى في العادة للأجانب وهي مرتبة حري (Hr Mdj3).

هل ذهب المصريون لأرض البجا الداخليين لأي غرض؟ هل كان لهم تأثير ثقافي على البجا؟.

في زمن الدولة الحديثة اهتم فراعنة مصربالذهب الذي تعتبر بلاد البجا من أهم مصادره. فكانت الحملات تخرج بأمر الملوك للتعدين عن الذهب، لكن لم تتوفر

لدينـا معلومـات عـن أثـر تلـك الحمـلات عـلى سـكان المنطقـة. المصـادر المصريـة تتحـدث دومـاً عـن تهيئـة المنطقـة وحفـر الآبارللحصـول عـلى الميـاه وبنـاء تحصينـات وتأمـين المنطقـة التـي يعملـون فيهـا بشـكل عـام.

خلاصات:منـذ الدولـة الوسـطى بـدأت معرفـة المصريـين بالمدجـاي تتحسـن تدريجيـاً ولكـن ليـس للدرجـة التـي تغـوص في تفاصيـل الحيـاة في الصحـراء. فقـد كان جـل اهتـمام حكوماتهـم يتركـز عـلى تحصيـل الجبايـات والإتـاوات مـن مراكـز المدجـاي القريبـة مـن طيبـة وأسـوان ، أو إرسـال الحمـلات للتعديـن عـن الذهـب والحجـارة الكريمـة في الصحـراء الشرقيـة المصريـة. مـن جانـب آخـر وصلتنـا معلومـات متفرقـة عـن المدجـاي في المصـادر المصريـة ارتبطـت إمـا بالأفـراد مـن المدجـاي الذيـن نزحـوا للمـدن المصريـة خاصـة في جنـوب مـصر واندمجـوا في حيـاة المـدن، أو بالمجموعـات التـي كانـت تصـل للمواقـع النيليـة لأسـباب متفرقـة. فمعلـوم أن مجموعـات صغـيرة منهـم اعتـادت النـزوح للنيـل في موسـم الجفـاف. وقـد أوضحنـا في مقدمـة هـذا البحـث أن مواطـن البجـا الحاليـين واسـعة وممتـدة ؛ فهـي تشـمل كل الصحـراء الشرقيـة الواقعـة بـين النيـل والسـاحل الغـربي للبحـر الأحمـر. وتنتـشر مواقعهـم الشـمالية شرقـي الضفـة الشرقيـة لـوادي النيـل المـصري بمحـاذاة قنـا وقفـط والأقـصر وأسـوان ويمكـن أن نطلـق عـلى هـذا الجـزء الشـمالي مسـمى الصحـراء الشرقيـة المصريـة .بقيـة البجـا الشـماليين ينتـشرون في الصحـراء الشرقيـة السـودانية. أمـا مواطنهـم الجنوبيـة فتقـع في ديـار البنـي عامـر شرقـي دلتـا القـاش. ولا شـك أن هـذه المنطقـة ذاتهـا سـكنها شـعب المدجـاي المذكـور في النصـوص المصريـة مـن هـذه الفـترة. لكـن تؤكـد الشـواهد التاريخيـة أن جماعـات منهـم كانـوا يأتـون للمواقـع النيليـة إمـا لأغـراض سـلمية مثـل مقايضـة بضائعهـم ببضائـع أهـل النيـل أو للبحـث عـن عمـل. أوربمـا قصـدوا النيـل لأغـراض غـير سـلمية كالنهـب والإغـارة وهـذه تحـدث في الغالـب في مواسـم الجفـاف وشـح القـوت في الصحـراء.

منـذ فـترة الاضمحـلال الثانيـة وحتـى نهايـة الدولـة الحديثـة نجـح المدجـاي في الحصـول عـلى وظائـف ملائمـة في مؤسسـات الحكومـة المصريـة. وكل المصـادر المتوفـرة مـن هـذه الفـترة تقريبـاً تتعلـق بهـذه المجموعـات التـي نزحـت للنيـل. أمـا بجـا الداخـل فـلا اثـر لهـم في مصـادر مـصر الفرعونيـة.

اختفـاء الاسـم مدجـاي: اختفـى المسـمى مدجـاي بعـد نهايـة الدولـة الحديثـة ولم يجـد الباحثـون تفسـيراً لهـذه الظاهـرة . مـن التفسـيرات المقترحـة أن السـبب ربمـا كان توقـف الوضـع الوظيفـي أو الأعـمال التـي كانـت متاحـة للمدجـاي. لكـن رصـد العلـماء

وجـود اسـم قريـب الشـبه بالاسـم مدجـاي كُتـب في حالتـين « مـدد» وفي حالـة ثالثـة « مـدي» في بعـض الوثائـق النبتيـة المكتوبـة باللغـة المصريـة. مثـلاً نقـرأ في السـطر 46 مـن النقـش المعـروف ب كـوة 9، وهـو مـن أعـمال الملـك النبتـي أمـاني نتـي يـركي (حكـم حـوالى -431 405 ق.م.) عـن هجـوم قبائـل تسـمى مـدد عـلى بلـدة كرتـن في نواحـي جبـل الـبركل. تكـرر الاسـم في نقـش تركـه الملـك النبتـي حرسـيوتف (حكـم حـوالى -404 393 ق. م.) حيث جـاءت إشـارة لمعـارك خاضهـا الملـك في السـنوات الثالثـة والخامسـة والسادسـة مـن عهـده ضـد المـدد، وقـد انتهـت بانتصـار الملـك وقتـل زعيـم المـدد سـاواراجا. كذلـك وردت إشـارة إلى قبائـل تسـمي « مـدي» في نقـش الملـك النبتـي ناستاسـن كانـت في ذات السـياق التقليدي المتعلـق بصـد هجـمات القبائـل البدويـة التـي تقطـن الصحـراوات المتاخمـة لمملكـة كـوش. أغـار المـدي عـلى معبـد الكـوة وسرقـوا بعـض التماثيـل التـي كان قـد أهداهـا للمعبـد الملـك أسـبلتا. وكذلـك هاجمـوا معبـد الإ لاهـة باسـتت التـي في تـوري (سـطر 65). وقـد حاربهـم الملـك وانتـصر عليهـم وعـلى كل الأعـداء بفضـل آمـون23.

في الفـترات اللاحقـة مـن تاريـخ مـصر (مصرالبطلميـة والرومانيـة) ظهر سـكان الصحراء الشرقيـة في المصـادر المصريـة الديموطيقيـة باسـم بلهمـو أو برهمـو(Blhmw or Brhmo). وفي المصـادر الإغريقيـة واللاتينيـة ظهـروا باسـمالبليميون. Blemmyesوهـو المـرادف للفظـة المصريـة. لكـن قبـل الانتقـال للحديـث عـن البليميـين نقـدم للقـارئ نبـذة مختـصرة عـن ثقافـة المدجـاي الماديـة.

ثقافة المدجاي المادية:

في العـام 1901 اكتشـف عـالم الآثـار الإنجليـزي فلنـدرز بـتري (Petrie) جبانـة صغـيرة بموقـع يسـمى « الهـو « بجنـوب مـصر. تميـزت هـذه الجبانـة بقبورهـا الفطحـاء الدائريـة التـي تشـبه الطـوة (pan) وفي الحـال وبسـبب هـذا الشـبه أطلـق بـتري عـلى هـذه القبـور ومحتوياتهـا اسـم ثقافـة البـان قريـف.(Pan- graveCulture).

أ. ثقافة البان قريف: القبر،

القـبر كـما أسـلفنا الذكـر، كان عبـارة عـن حفـرة دائريـة فطحـاء. بعـد أن تلـف بكفـن مـن القـماش أو الجلـد توضـع الجثـة داخـل هـذه الحفـرة في وضـع القرفصـاء عـلى جانبهـا الأيمـن. بعـد الدفـن يغطـى سـطح القـبر بكومـة مـن الحصـا. تحيـط بالكومـة دائـرة مـن الحجـارة أو الطـوب اللـبن.

إضافـة للجثـة يحتـوي القـبر عـلى بعـض المتـاع والقرابـين أبرزهـا الفخـار. أهـم أنـواع الفخـار سـلطانيات حمـراء أو بنيـة مصقولـة ذات حـواف سـوداء. هـذا النـوع مـن الفخـار

الأحمـر أو البنـي المصقـول ذو الحـواف السـوداء عُـرف في ثقافـة المجموعـة أ السـودانية (3800 – 2800 ق.م.) ، وفي ثقافـة المجموعـة ج (2200 – 1500 ق.م.) وفي ثقافـة كرمـة (-2500 1450 ق. م.) مـع بعـض الاختلافـات الطفيفـة. وكذلـك عُـرف هـذا النـوع مـن الفخـار في ثقافتـي العمـري والبـداري المصريتـين.

مـن ناحيـة أخرى وجـد في ثقافـة البـان قريـف فخـار مماثـل للـذي سـبق وصفـه لكنـه غـير مصقـول كان يزخـرف أحيانـاً بزخرفـة خطـوط مائلة.

مـن مـن محتويـات القبـور الأخـرى جماجـم أبقـار وماعـز كانـت تدفـن مـع الميـت، إضافـة لأنـواع مـن الأسـلحة والحـلي وأدوات الزينـة.

هـذه المكونـات مـن المعثـورات تـم العثورعـلى نمـاذج منهـا لاحقـاً بواسـطة بعثـات تنقيـب مختلفـة، وفي مواقـع مختلفـة أيضـاً في جنـوب مـصر (مسـتجدة، أبيـدوس، إدفـو و بلابيـش، إلفنتينـي) و في النوبـة السـفلى عـلى ضفتـي النيـل بالقـرب مـن القـلاع المصريـة مثـل قلعـة صرة شرق و قلعـة مرقسـة. في أماكـن أخـرى وجـدت قبـور البـا قريـف مختلطـة بقبـور المجموعـة ج، و كذلـك بقبـور الكرميـين كـما في أدنـدان و سـيالة.موقع آخـر تكـثر فيـه قبـور البـان قريـف هـو أطـراف الصحـراء الشرقيـة وبخاصـة عنـد مداخـل الوديـان مثـل وادي العلاقـي.في الخمسـينات مـن القـرن المـاضي عـثر آركل عـلى كـسرات مـن فخـار البـان قريـف في أركويـت وأخـرى بالقـرب مـن خـور أربعـات بولايـة البحـر الأحمـر. وقـد طـرح علـماء الآثـار السـؤال المـشروع: مـن هـم أصحـاب هـذه القبـور ؟.

اقـترح عـدد مـن العلـماء أنهـا تعـود لرجـال المدجـاي النيليـين الذيـن كانـوا يعملـون في خدمـة الحكومـة المصريـة منـذ زمـن الدولـة الوسـطى مـروراً بفـترة الهكسـوس و فـترة الانتقـال الثانيـة وحتـى نهايـة الدولـة الحديثـة (أي خـلال الفـترة 2000 ق.م. إلى 1500 ق.م.) وقـد وجـد هـذا الاقـتراح قبـولاً مـن كثـير مـن العلـماء. وقـد تـم فحـص هيـاكل لبعـض المدفونـين وجـاءت النتيجـة لتؤكـد أنهـم شـعب متزنـج (negroid) واللفظـة تشـير إلى اختـلاط خصائـص زنجيـة بأخـرى قوقازيـة 24 .

مـن الملاحـظ أن المدجـاي النيليـين بـدأوا في التخـلي عـن ثقافتهـم الماديـة بالتدريـج منـذ بدايـات الأسرة 18 وأخـذوا في تبنـي سـمات عديـدة مـن الحضـارة المصريـة التـي بـدأت تؤثـر في بعـض فئـات مـن سـكان النوبـة السـفلى عـلى حـد سـواء. جديـر بالملاحظـة أيضـاً أن المدجـاي النيليـين كانـوا يتخـذون أسـماءاً مصريـة.

ب. ثقافة جبل مكرام في ولاية كسلا بشرق السودان:

عثرت تنقيبات قامت بها بعثة إيطالية في كسلا، منطقة جبل مكرام، على فخار مشابهه لفخار مدجاي النيل خاصة من حيث الزخرفة و معالجة السطح. ويعتقد المكتشفون أن الثقافة تمثل هجرة مدجاي نيليين وصلت إلى كسلا في زمن الدولة المصرية الحديثة بعد أن هجر المدجاي النيليون أوطانهم النيلية. وهكذا تؤكد الاكتشافات الأثرية على وجود المدجاي في كل ولايات شرق السودان.

لغة المدجاي:

تشير شواهد لغوية توصل إليها عالم اللغات براون من دراسته للنصوص المصرية المعروفة ب نصوص الإبعاد، توصل إلى أن المدجاي تحدثوا لغة تنتمي لعائلة اللغات الكوشية (Cushitic)وهي العائلة اللغوية التي تنتمي إليها لغة البجا الحديثين المعروفة بالتبداوية [25].

البليميون

منذ أواخير الأسرة 20 المصرية ظهر سكان الصحراء الشرقية في الكتابات بمختلف لغاتها بمسميات جديدة ليس من بينها اسم المدجاي الذي اختفى تماماً عن المصادر. لكن الأسماء التي كانت الأكثر ذكراً وظهوراً في المصادرهي: البليميون، الميقاباروي والتروقوديت.سنتناول القبائل الثلاثة كل على حدا ونبدأ بالبجا البليميون.

أ. البليميون في مصادر مصرية سابقة للحقبة البطلمية:

تم رصد حالتين ذكرت البليميين ؛ الأولى بردية تعود لزمن الملك رمسيس الحادي عشرآخر ملوك الأسرة العشرين (حكم حوالى -1099 1069 ق.م.) تحتوي على قوائم لأسماء أماكن جغرافية وشعوب أجنبية كان من بينها اسم قرأه قاردنر، الخبير في اللغة المصرية، مبدئياً برهس. لكنه علق بعدم وضوح الحرف الأخير. وقتها لم يقترح قاردنر ربط الاسم بالبليميين لكن علماء آخرين اقترحوا أن اللفظة تشير للبليميين. فريق آخر من الباحثين رفض الفكرة بسبب عدم احتواء الاسم على حرف الميم الذي يعتبرونه جزءاً مهماً من الاسم كما يبين رسمه في الكتابات اللاحقة سواء إغريقية أو لاتينية أو قبطية [26].

الحالة الثانية رصدت في النقش كوة 8 وهو من أعمال الملك النبتي أنلماني (-623 593 ق. م.). تحدث كوة 8 عن حملة عسكرية أرسلها انلماني ضد جماعة تسمى بلهاو أو برهاو، أعملت فيهم قتلاً وأسراً ؛ لا شك أن الحملة هي رد على عمل عدائي قامت به الجماعة. ومن بعد هزيمتهم استخدم النبتيون أسراهم خدماً للمعابد 27. هناك بعض الباحثين من ارتأى ربط بلهاو أنلماني بالبليميين معتقدين كتابة خاطئة أسقطت حرف الميم حيث أنه لم يتم رصد لهذا الشكل الخالي من حرف الميم في المصادر الأخرى.

البليميون في المصادر البطلمية:

حكمت الأسرة البطلمية مصر بعد وفاة الإسكندر الأكبربفترة قصيرة. ولفظة بطلمية تعود للجنرال بطليموس الأول سوتير (-305 282 ق.م.) مؤسس الأسرة. وقد اتخذ كل خلفاء بطليموس سوتير وعددهم ثلاثة عشرة، اتخذوا لقب بطليموس Ptolemyمع إضافة لاحقة تميز كل واحد منهم. آخر حكام البطالمة في مصر كانت امرأة وهي الملكة الشهيرة كليوباترة السابعة التي انتحرت عقب هزيمنها في معركة أكتيوم

ضد قائد الجيش الروماني أوكتافيوس،، الذي أصبح لاحقاً الإمبراطور أغسطس، في سنة 30 ق.م. تزامن حكم البطالمة في مصر(-305 30 ق.م.) مع الفترة المتقدمة من مملكة مروي. وقد توفرت للباحثين مادة لا بأس بها عن نشاط ملوك البطالمة و كذلك عن نشاط الرحالة الإغريق في السودان خلال هذه الفترة.

عن علاقة البليميين بمصر البطلمية وصلتنا برديات من العصر البطلمي المتوسط تبين استقرار أفراد منهم في بعض المدن المصرية الجنوبية مثل إدفو والجبلين ؛ فتحدثنا عن أفراد بليميين ولدوا بمصر يحملون أسماءاً مصرية ويتزوجون بنساء مصريات أو يستأجرون أراضي زراعية. وسنقدم فيما يلي بعض الأمثلة ؛ البردية هاوسفالدت 6 (Hausvaldt vi) المؤرخة لسنة 220-219 ق.م.) هي عبارة عن وثيقة زواج رسمية بين الرجل خارميس، الذي وصف بأنه بليمي مولود بمصر، وبين المصرية تايسي. مصدر البردية إدفو في صعيد مصر. البردية برقم المتحف البريطاني 10516هيعقد إيجار أرض زراعية من المدعو» كلا» المؤجر للمستأجر« تيخنوميس» الذي وصف بأنه بليمي ولد بمصر. بردية أخرى من مقتنيات المتحف البريطاني (بالرقم B.M 10510.) عبارة عن وثيقة زواج بين الرجل البلمي خاربوس والمصرية تاريسيس. وقد أبرم العقد في السنة الرابعة والعشرين من عهد بطليموس السادس (أي سنة 152 ق.م.). كلا البرديتين تم العثور عليهما في الجبلين بجنوب مصر [28].

الأهمية التاريخية لهذه المصادر المصرية الجنوبية هي برهنتها على استقرار جماعة من البليميين في مدن مصرية واندماجهم في الحياة المدنية المستقرة بالزواج وفلاحة الأرض. هذه البرديات تفند آراء مناهضة تعتقد أن البليميين لم يعرفوا أبداً الحياة المستقرة في المدن أو القرى الزراعية. إن العثور على هذه البرديات المذكورة أعلاه قد تم عن طريق الصدفة وربما فقدت عشرات الأدلة من هذا النوع. إننا نعتقد إن خيار مجموعات من البليميين للاستقرار في مواقع نيلية ربما حدث في مواقع في النوبة السفلى كذلك. بالرغم من شح المصادر عن الأحوال في النوبة السفلى خلال الفترة البطلمية إلا أن هذا الأمر لا يمكن استبعاده بخاصة إذا تمعنا في بعض المؤشرات التي سنقدمها في الفقرات التالية.

مصادر الحقبة الكوشية المروية المبكرة:

أشرنا في مكان سابق لمؤشرات تشير بوجود جماعات نيلية من البليميين استقرت في بعض المدن والقرى السودانية (مثل ما استقرأقرباء لهم في جنوب مصر). في الصفحات التالية يتم شرح هذه المؤشرات. تأتي في مقدمتها رواية المؤرخ الإغريقي

إراتوسثينس (-275 195 ق.م) ذلك الموسوعي الضليع الذي كان أميناً لمكتبة الإسكندرية في عهد بطليموس الثالث. في رواية له أثبتها المؤرخ سترابو لاحقاً قال إراتوسثينس إن المقاباروي والبليميين قبائل تسكن المنطقة على طول النيل مجاورين لمصر، بينما يعيش التروقوديت في منطقة الساحل:

«إلى الشمال، على جانبي مروي يعيش على طول النيل وباتجاه البحر الأحمر الميقاباروي والبليميون وهم يخضعون لإثيوبيا (أي مملكة مروي) لكنهم مجاورين للمصريين. وعلى ساحل البحر يعيش التروقلوديت. وهناك مسافة رحلة 10 إلى 12 يوماً بين التروقلوديت المقابلين لمروي وبين النيل.[29] .

إن وصف أوطان البجا البليميينفي هذه الرواية واضح كل الوضوح ؛ فهي تبدأ من ضفاف النيل الشرقية جنوب مصر وتمتد شرقاً باتجاه البحر الأحمر. في الوقت نفسه أكدت الرواية مجاورة البليميين للمصريين، وبذلك يتحدد وجودهم النيلي في المنطقة المتاخمة لمصر المعروفة في المصادر البطلمية ب « دودي كاسخوينوس» والتي تقع بين أسوان والمحرقة. أهم المواقع السكنية في هذه المنطقة هي جزيرة فيلة، دابود، كلابشة، الدكة.في الوقت نفسه أشارت الرواية لتبعية البليميين والميقاباروي لحكومة مروي (إثيوبيا).

مؤشر آخر في غاية الأهمية هو اتجاه ملوك البطالمة، ابتداءً من بطليموس الرابع، للتوسع في النوبة السفلى وبخاصة في دودي كاسخوينوس، حيث قام الأخير بتشييد معبد صغير من الحجر الرملي لعبادة المعبود تحوت بنوبس في الدكة. هذا المعبود، كما يظهر من اسمه (تحوت بنوبس) من المعبودات المحلية الأمر الذي يشي بأن الخطوة سياسية قصد بها استمالة السكان المحليين. من ناحية أخرى نعتقد إن اختيار الدكة لم يأت مصادفة، فالموقع يحتوي على مساحة مقدرة من الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة. هذان العاملان، المعبد والأرض الزراعية، سيعملان حتماً على جذب السكان. بالرغم من أن موقع مدينة الدكة على الضفة الغربية، إلا أنها تقع في مقابلة وادي العلاقي الموجود في صحراء البجا. فهي إذاً ليست بعيدة عن أرض المناجم. بل أن هناك أدلة كتابية وآثارية تفيد بأن البطالمة قد استغلوا ذهب الصحراء الشرقية وإن لم ترتبط هذه الأدلة بملك معين. من الأدلة الكتابية رواية ديودور الصقلي عن أقاثرخيدس. تصف الرواية مواقع المناجم و الطرق المستخدمة في استخراج الذهب والقسوة المصاحبة تجاه من يعملون في استخراجه[30] .

من الأدلة الآثارية التي تشير لوجود الإغريق في الصحراء الشرقية نتائج

تنقيبات بعثة إيطالية أجريت في موقع يسمى دريهيب يقع على طريق وادي العلاقي في نهاية الثمانينات من القرن الماضي. تقع دريهيب على طريق وادي العلاقي وتعتبر المنجم الأكبر في منظومة مناجم الصحراء الشرقية ؛ عثرت البعثة على مبان وآثار وتحف وعملات بطلمية 31. ويعتقد قائد البعثة كاستيقيليوني ومجموعته من الخبراء الذين نفذوا التنقيبات إن دريهيب هي بالتأكيد بيرينيس بانخري سوس Berenice Panchrysos))التي ذكرها بليني الأكبر في سفره التاريخ الطبيعي، الجزء السادس ص 170. وتشمل الآثار التي تم العثور عليها في الموقع قلعتين ضخمتين ومجموعة منازل وأشياء أخرى ذات أصل غريقو- روماني. إن بناء قلاع ضخمة في الموقع لا شك يشير بحرص الحكومة البطللمية على حماية المعدنين ومن رافقهم من الإداريين والعسكريين من اعتداءات محتملة من الأهالي.

من ملوك البطالمة الذين أبدوا اهتماماً كبيراً بالنوبة السفلى بطليموس السادس. قام هذا الملك في حوالي سنة -172 170 ق.م. بعمل إضافات وإصلاحات في معبد إيزيس بدابود كما توسع لاحقاً بشكل كبير في المنطقة جنوب المحرقة (أرض الثلاثين شويني) مدعياً تشييد مدينتين،أسماهما فيلوموتوريس و كليوباترا. وكنتيجة لهذا الحراك ازداد عدد السكان في المنطقة زيادة ملحوظة، يدل على ذلك الجبانة الضخمة التي اكتشفها فيرث في االدكة عام 1912 والتي يمكن إرجاع تاريخها، لعهد بطليموس السادس. الملك بطليموس السابع هو الآخر قام ببعض الأعمال الإنشائية في الدكة ؛ وكذلك بطليموس العاشر(أو ربما الخامس) شيد في كلابشة معبداً صغيراً للمعبود ماندوليس الذي ارتبط، في فترة لاحقة، بالبليميين باعتباره معبودهم الرئيس [32].

البليميون في النوبة السفلى خلال الحقبة المروية المتأخرة:

نقصد بالحقبة المروية المتأخرة القرون الثلاثة الأخيرة من عمر مملكة مروي والتي، بشئ من التجاوز، يمكن القول إنها تزامنت مع ظهور ولاية مصر الرومانية التي تم ضمها للإمبراطورية الرومانية عام 31 ق.م. بواسطة القائد الروماني أوكتافيوس بعد هزيمته لقوات كليوباترا السابعة آخر حكام البطالمة. قبل الدخول في التفاصيل عن وجود البليميين كمستقرين في النوبة السفلى، وقبل عرض الطرح عن فرضية قيامهم بأدوار سياسية مهمة ، لا بد من توضيح و شرح للفهم المتواتر الغير دقيق الذي يصف سكان النوبة السفلى خلال هذه الفترة بأنهم مرويون. إن وصفهم بالمرويين صحيح من وجهة نظر ثقافية لأننا يمكن أن نطبقه على الحضارة المادية واللغة المكتوبة ؛ لكنه يبقى وصفاً قاصراً لأنه لا ينظر في زوايا أخرى مهمة مثل

المكـون العرقـي و القبـلي للسـكان، ومثـل حتميـة وجـود لهجـات أو لغـات عديـدة تتحـدث بهـا إثنيـات أخـرى غـير الإثنيـة المرويـة. ولابـد مـن التذكـير هنـا أن جـدلاً كبـيراً قـد أثـير حـول السـؤال : مـن أيـن أتى السـكان الذيـن عمـروا الجـزء الشـمالي مـن النوبـة السـفلى منـذ عـصر بطليمـوس الرابـع، ومـروراً بعهـود ولاة مـصر الرومانيـة والنوبـة المرويـة. وكذلـك السـؤال الآخـر وهـو: مـا أصـل الفخـار الـذي بـدأ ينتـشر في إقليـم النوبـة السـفلى منـذ حـوالى نهايـة القـرن الأخـير قبـل الميـلاد في قـصر إبريـم وفـرص و كرنـوغ وغيرهـا مـن المواقع جنـوب المحرقـة والـذي صرنـا نطلـق عليـه مسـمى الفخـار المـروي؟

لقـد طُرحـت كل الاحتـمالات المتوقعـة للأوطـان الأصليـة لهـؤلاء المسـتوطنين الجـدد وهي؛جهـة الجنـوب نواحـي دنقـلا وكرمـة، أو الغـرب ناحيـة وادي هـور، أو الـشرق نواحـي الصحـراء الشرقيـة. كـما طرحـت فرضيـة تقـول إن المسـتوطنين كانـوا خلطـة مـن كل هـذه المناطـق. وحتـى صعايـدة مـصر لم يسـتبعدوا مـن أن يكونـوا جـزءاً مـن الخلطـة التـي تكونـت. ونعتقـد أنـه مـن الحكمـة أن نتقبـل هـذه الخلاصـة ولا نسـتثني جماعـة أو إثنيـة محـددة لأي سـبب مـن الأسـباب. فـإذا قبلنـا بذلـك يكـون البليميـون مكـون أصيـل مـن مكونـات سـكان النوبـة السـفلى منـذ بدايـة إعمارهـا. كيـف ؟

سـنورد بعـض الأدلـة والحجـج التـي تجيـب عـلى هـذا السـؤال ؛ أهمهـا برأينـا روايـة المـؤرخ سـترابو، المـؤرخ الرومـاني الثقـة و شـاهد العيـان لأحـداث نشـاط والي مـصر بترونيوس في شـمال السـودان وبخاصـة حملتـه التـي جردهـا ضـد المرويـين رداً عـلى هجومهـم المفاجـئ عـلى الحاميـات الرومانيـة في أسـوان وفيلـة وإلفنتينـي. ربمـا كتـب سـترابو روايتـه هـذه حـوالى سـنة 25 ق.م. تجـري روايـة سـترابو عـلى النحـو التـالي:» يوجـد إلى الجنـوب (مـن مـصر) التروقلوديـت، البليميـون، النوبـاي والميقابـاروي، أولئـك الإثيوبيـون جنـوب أسـوان؛ إنهـم بـدو، قليلـون، وغـير مولعـين بالحـرب بالرغـم مـن اعتقـاد العلـماء بغـير ذلـك لأنهـم كانـوا يعتـدون عـلى العـزل..»33.

الروايـة تفيـد بوجـود أربـع مـن القبائـل السـودانية الرعويـة جنـوب أسـوان مـن بينهـا البليميـون. مـن الجائـز جـداً، بـل مـن المؤكـد، أن لهـذه القبائـل أصـول و بطـون و فـروع بدواخـل البـلاد سـواء مـن جهـة الـشرق في حالـة البليميـين، الميقابـاروي والتروقوديـت، أو مـن جهـة الغـرب أو الجنـوب في حالـة النوبـة . لكـن فرضيـة نـزوح بعـض مـن هـذه الجماعـات للقـرى والمعسـكرات الرومانيـة عـلى جانبـي النيـل هوأمـر لا يمكـن اسـتبعاده، بخاصـة إذا كانـت هنـاك حوجـة لخدماتهـم. فـإذا نزحـوا للنيـل ربمـا يطيـب لهـم المقـام على ضفـاف النهـر، وينخرطـوا في أنشـطة سـكان الـوادي مـن زراعـة وفلاحـة وتجـارة وحـرف

وغيرها. والتاريخ البعيد والقريب يشهد بحدوث مثل هذه الحالات التي تبين كيف قلبت جماعات من البدو سلوكهم الحياتي من ترحال لاستقرار.

إن وصول الرومان لإقليم دودي كاسخوينوس وتشييدهم ما يقارب العشر معسكرات على ضفتي النيل بين أسوان والمحرقة لا شك شكل واقعاً جديداً في تاريخ الإقليم. ونلاحظ تزامن وصول الرومان مع وصول المرويين التدريجي للمنطقة جنوب المحرقة خلال القرن الأخير ق.م. كل ذلك، إضافة لإدخال الساقية، عمل على إنعاش إقليم النوبة السفلى بصورة لم يسبق لها مثيل. من ناحية الرومان، عملوا على بناء معابد جديدة للآلهة المحلية لاستمالة الأهالي للإقامة والاستقرار وهجر الحياة الرعوية. من أهم المعابد التي بناها الرومان معبد معبد كبير للمعبود مانديوليس بمدينة كلابشة (هذا بخلاف المعبد الصغيرالقديم) الذي بناه الإمبراطور أغسطس. وماندويوليس كما هو معلوم يعتبر الإله الرئيس للبليميين.

أليس من الجائز أن يكون بناء هذا المعبد مقصود به استمالة البليميين للاستقرار والتخلي عن عاداتهم من سلب ونهب المسافرين أو مهاجمة القرى الآمنة ؟

بعد الصلح الذي تم التوصل إليه في ساموس عام 22 ق.م. بين مناديب الكنداكة المروية والإمبراطور أغسطس ساد الهدوء والسلام إقليم النوبة السفلى بجزئيه الروماني والمروي. استمر الحال كذلك حتى عهد الإمبراطور بروبوس (-276 282 م). نقرأ في سيرة هذا الإمبراطور أنه أخضع البليميين وأرسل أسراهم إلى روما. وأنه كذلك حرر مدينتي قفط و بطلمية في صعيد مصر من قبضة البليميين 34. ما أصل أو موطن هؤلاء البليميين ؟ لقد درج الباحثون والكتاب بشكل عام على ربط الهجمات البليمية على السكان الحضر سواء في جنوب مصر أو في إقليم دودي كاسخوينوس، درجوا على ربطها بالبليميين البدو سكان الصحراء الشرقية. لكننا لا نستبعد أن يكون المعتدون على المدينتين المصريتين من البليميين الذين استقروا في دودي كاسخوينوس.

البليميون في إقليم دودي كاسخوينوس خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين (فرضية):

المصادر التي تتحدث عن الأحوال في النوبة السفلى خلال هذين القرنين شحيحة للغاية. فيما يتعلق بالقرن الثالث توجد إشارات متفرقة في مصادر رومانية تتحدث عن أدوار يقوم بها البليميون ضد أمن الإمبراطورية في مصر.إضافة لتلك هناك رواية المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس التي (رغم أنها كتبت حوالى عام 560م) تصف أحداثاً وقعت في نهاية عهد الإمبراطور دايوكليشيان.أما مصادر القرن الرابع يهمنامنها مصدرين؛ الأول

مجموعـة مخربشـات ديموطيقيـة جمعهـا ونشرهـا ف.ل. قريفيـث عـام 1937. الثـاني النقـش المـروي REM 94 المعـروف بنقـش الملـك خرمدويـا الـذي قـام بمحاولـة فـك طلاسـمه وتحليلـه كل مـن قريفيـث و ميليـت.

البليميون في مصادر القرن الثالث الميلادي:

أ. Historiae AugustaeScriptores [35]

يتحـدث هـذا المصدرعـن اشـتراك البليميـين في الثـورة المصريـة العارمـة التـي اندلعـت ضـد الحكـم الرومـاني في الإسـكندرية بقيـادة تاجـر مـصري اسـمه فيرمـوس خـلال حكـم القيصريـن كلوديـوس (-263 270م) و أورليـان (-270 276م). ويذكـر المصـدر أن فيرمـوس تحالـف مـع البليميـين. يتحـدث المصـدر في سـيرة بروبـوس (-276 282 م) عـن احتـلال البليميـين لمدينتـي قفـط و بطلميـة في جنـوب مصرمتحالفـين مـع متمـرد يسـمى نارسـوس. لكـن تمكـن بروبـوس أخـيراً مـن هزيمـة البليميـين وإرسـال أسراهـم إلى روما.الروايـة في سـيرة بوبـوس (بروبـوس 17) تقـول الروايـة:

« وهكـذا بعـد أن أعـاد الأمـن لـكل جـزء مـن ألأجـزاء بامفيليـا والولايـات الأخـرى، وجـه أنظـاره للـشرق فأخضـع البليميـين وأرسـل أسراهـم إلى رومـا...... ذهـب كذلـك لنجـدة مدينتـي قفـط وبطلميـة مـن اسـتعباد البرابـرة وأرجعهـما لحظـيرة الحكومـة الرومانيـة «.

ب. رواية بروكوبيوس القيصري [36]:.

لأهمية هذه الرواية نقدم ترجمة شبه حرفية لجانب منها:

« تسـتغرق الرحلـة مـن مدينـة أكسـوم لحـدود مدينـة إلفنتينـي في مـصر الرومانيـة حـوالى 30 يومـاً. يقطـن في هـذه المسـاحة عـدد مـن الأمـم مـن بينهـم البليميـون والنوباتيـون وكلاهـما مـن الشـعوب الكثيفـة العـدد. الآن (سـنة 565 م) يقطـن البليميـون في المنطقـة الوسـطى مـن البـلاد بينـما نجـد النوباتيـين في منطقـة وادي النيـل. قبـل ذلـك كانـت أمـلاك الرومـان تمتـد لمسـافة رحلـة سـبعة أيـام (إلى حـد المحرقـة) لكـن لمـا جـاء دايوكليشـيان إلى المنطقـة (حـوالى سـنة 297-298 م) لاحـظ أن مـا يجنيـه الرومـان مـن ضريبـة وحاصـلات منهـا ضئيـل جـداً لأن مسـاحة الأرض الزراعيـة صغـيرة للغايـة بينـما تقيـم أعـداد كبـيرة مـن الجنـود الرومـان في معسـكرات تنتـشر في المنطقـة منـذ زمـن طويـل ؛ وكان الإنفـاق عـلى هـؤلاء الجنـود يشـكل عبئـاً ثقيـلاً عـلى خزينـة الدولـة. في الوقـت ذاتـه كان النوباتيـون، الذيـن كانـوا حينـذاك يقطنـون المنطقـة حـوالى مدينـة الواحـة (الخارجـة) كانـوا يشـنون هجماتهـم عـلى الممتلـكات الرومانيـة في كل المنطقـة. لـكل ذلـك ألـح الإمبراطـور عـلى البرابـرة (Gk. Βαρβαρος) لينتقلـوا مـن هنـاك لـوادي النيـل، ووعـد بمنحهـم مـدن كبـيرة

وأرض واسعة وأحسن بالمقارنة بما كان تحت أيديهم في الواحة. لأنه بهذه الطريقة، في رأي دايوكليشيان، ستنتهي مضايقة النوباتيين لأهل الواحة على الأقل، كما أن النوباتيين عندما ينتقلون للنيل ويسكنون في أرض يعلمون أنهم أصحابها سيقومون بطرد البليميين وبقية البرابرة منها. لقد أعجب النوباتيون بهذا العرض وعلى التو تركوا الواحة وهاجروا إلى النيل واحتلوا كل المدن الرومانية الواقعة جنوب إلفنتيني على ضفتي النيل. بعد ذلك قرر الإمبراطور أن يدفع لهم وللبليميين مبلغاً محدداً من المال سنوياً بشرط أن لا يقوموا بأي هجمات على أرض الرومان. وما زالوا يتلقون هذه المنحة إلى هذا الوقت، لكنهم بالرغم من ذلك لم يتركوا عادة الهجوم على أرض الرومان. وهكذا الحال مع كل البرابرة لا يحفظون المواثيق مع الرومان إلا عن طريق القوة.»

وهكذا يحدثنا بروكوبيوس أن النوباتيين قبلوا الدعوة وتم تسليمهم المواقع لكنه لم يحدثنا عن مصير البليميين. المتوقع أن الرومان قدموا المساعدات للنوباتيين في البداية، ومتوقع كذلك تقهقر البليميين لمواقع جنوب المحرقة مثل المضيق، توماس، قصر إبريم أو جبل عدة. لكن الغريب وغير المتوقع ما جاء في الرواية أن الإمبراطوردايوكليشيان أصدر قراراً بمنح النوباتيين و البليميين منحة مالية سنوية (من الذهب) بشرط أن لا يعتدوا على منطقة الحدود، وأنهم كانوا يحصلون عليها منذ ذلك الوقت حتى زمن جستنيان. هذه المنحة، برأينا، كانت جوهر لاتفاق عقد مع القبيلتين في إطار سياسة التحالف (Foederate System) مع زعماء القبائل في الولايات الطرفية التي كانت تنتهجها الإمبراطورية الرومانية للحفاظ على سلامة الحدود وأمنها. سنتحدث بمزيد من التفصيل عن هذه السياسة في فقرة الخلاصات أدناه.

بالعودة لموضوع استقرارجماعات بليمية آنذاك في وادي النيل برأينا إن رواية بروكوبيوس تحتوي مؤشرات جيدة على وجودهم في إقليم دودي كاسخوينوس قبيل عهد الإمبراطور دايوكليشيان (-284 305 م). فقد ذكر بروكوبيوس إن من بين أهداف الإمبراطوردايوكليشيان لدعوة النوباتيين للإقامة في مواقع المعسكرات الرومانية التي سيتم إخلاؤها، هو رغبته أو اعتقاده بأن « يتمكن النوباتيون من طرد البليميين beat off the Blemmyes « وبقية البرابرة منها. ما يمكن استنتاجه من هذه الجملة أن البليميين كانوا فعلاً هناك، في إقليم دودي كاسخوينوس في ذلك الوقت الذي صدر فيه قرار إخلاء الإقليم، أي حوالى سنة -297 298 م. ومن الجائز أنهم كانوا يسيطرون عليه.

لكـن السـؤال الـذي يطـرح نفسـه هـو: مـا طبيعـة وجودهـم في الإقليـم ، وبـأي صفـة؟ هـذا السـؤال سـنحاول الإجابـة عليـه مـن خـلال فرضيـة اعتمدنـا في تأسيسـها عـلى المصـادر التـي ذكرناهـا في صـدر هـذه الفقـرة، وعـلى دراسـة وأفـكار طرحهـا الأسـتاذ ميليـت و أفـكار أخـرى طرحهـا باحثـون متخصصـون في تاريـخ وآثـار وحضـارة مملكـة مـروي. ولتكـن البدايـة مـن النتائـج التـي توصـل إليهـا الأسـاذ ميليـت [37].

أبانـت دراسـة ميليـت أن إقليـم دودي كاسـخوينوس كان يـدار بشـكل ثنـائي بـين الحكومتـين الرومانيـة والمرويـة. الحكومـة المرويـة كان يمثلهـا أصحـاب الألقـاب جـنرال النهـر، و جـنرال الصحـراء. أمـا إقليـم النوبـة المرويـة، الـذي يبـدأ جنـوب المحرقة،فـكان يـدار بواسـطة الأمـراء (البشـتوات) مـن مراكزهـم في كرنـوغ، عنيبـة فـرص وجبـل عـدا وغيرهـا. بعـد دراسته وتمحيصـه للمعلومـات التقليديـة التـي تحتويهـا شـواهد قبـور الأمـراء والجـنرالات ، وبعـد تتبـع مواقـع جباناتهـم، اقـترح ميليـت أنهـم يمثلـون شـعبتين أو عائلتـين مختلفتـين أسـماهما : الأولى عائلـة الأمـراء أو البشـتوات clan of the peshtos)) والثانيـة عائلـة الجـنرالات.(clan ofthe generals). وافـترض ميليـت أنـه في أواخـير القـرن الثالـث الميـلادي تنافسـت العائلتـان عـلى النفـوذ وانتهـى التنافـس بتفـوق عائلـة الجـنرالات التـي سـيطرت عـلى إقليـم دودي كاسـخوينوس ومـن ثـم تمـددت جنوبـاً في مناطـق نفـوذ البشـتوات مسـتفيدة مـن النظـام الأمومـي السـائد في عائلـة البشـتوات. وأضـاف أن المشـاكل الداخليـة التـي اسـتشرت في مختلـف ولايـات الإمبراطوريـة الأمبراطوريـة منـذ أواسـط القـرن الثالـث صرفتهـا لحـد كبـير عـن الاهتـمام بالأطـراف مـما دفـع بالسـلطات العسـكرية الرومانيـة في دودي كاسـخوينوس للاعتـماد عـلى رجـال قبائـل محليـين للقيـام بمهمـة حمايـة الحـدود38 . لكـن ميليـت لم يقـترح او يسـمى قبيلـة بعينهـا، بينـما في رأينـا، ليـس هنـاك مـا يمنـع أن يتـم الاسـتعانة بالبليميـين، خاصـة لمـا عرفـوا بـه مـن القيـام بمثـل هـذه الأدوارالعسـكرية والشرطيـة في تاريـخ مـصر البطلمـي والفرعـوني. رؤيـة الأسـتاذ هيكـوك للأحـوال في القـرن الثالـث الميـلادي لم تختلـف كثـيراً عـن رؤيـة ميليـت ؛ فقـد اعتقـد بإزديـاد نفـوذ الجـنرالات، وأيضـاً بطبيعـة تكويـن قـوات حـرس الحـدود الرومانيـة التـي أصبحـت تتكـون في معظمهـا مـن رجـال محليـين ذوي أصـول مرويـة/ نوبيـة [39].

وهكـذا يتفـق هـؤلاء العلـماء عـلى دور مهـم قـام بـه رجـالات القبائـل المحليـة وهـو مشـاركتهم في حمايـة الإقليـم الـذي يتبـع رسـمياً للإمبراطوريـة االرومانيـة. فلـم يتبـق إلا أن نسـمي تلـك القبائـل. إننـا مـن جانبنـا نفـترض أن البليميـين كانـوا مـن ضمـن تشـكيلة حـرس الحـدود الرومـاني في جنـوب مـصر ؛ ليـس ذلـك فحسـب، بـل ربمـا كان الفـرع منهـم المتمركـز في إقليـم دودي كاسـخوينوس هـم حملـة الألقـاب جـنرال المـاء، جـنرال

الصحراء، حكام تا كمبسو وحكام إقليم الثلاثين شينوس [40]. ونذهب أبعد من ذلك ونقول: ربما كان هؤلاء الجنرالات هم الذين شنوا الهجوم على جنوب مصر واحتلوا مدينتي قفط و بطليموس قبل أن يتم تحريرهما بواسطة القائد الروماني بروبوس سنة 276م. هذا البروزالسياسي والعسكري لعائلة الجنرالات وأقاربهم في النوبة السفلى أمر متوقع بسبب الضعف الذي أصاب حكومة المركز في مروي من جهة، وبسبب إنشغال روما بمشاكلها الداخلية من جهة أخرى. إن ارتفاع شأن البليميين النيليين في دودي كاسخوينوس ربما كان واحداً من أسباب دعوة الإمبراطوردايوكليشيان النوباتيين لترك واحة الخارجة والقدوم للنيل والإقامة في مدن المعسكرات الرومانية التي سيتم إخلاؤها (رواية بروكوبيوس). الهدف من الإخلاء ليس فقط الأسباب التي ذكلاها بروكوبيوس مثل عبء الصرف وقلة المتحصل من الضرائب والرغبة في توفير الأمان للمواقع الرومانية في الخارجة، بل إن من بين الأهداف هدف خفي هو ضرب القبائل المحلية بعضها ببعض (سياسة فرق تسد) لصرفها عن الإغارة على المواقع الرومانية سواء في جنوب مصر أو في واحة الخارجة.

البليميون في مصادر القرن الرابع الميلادي:

أ. المخربشة (graffito) الديموطيقية فيلة371 [41]:

بالفعل، تحققت على الأرض سياسة فرق تسد. حيث تفيد معلومات مستقاة من مخربشة ديموطيقية أن ظاهرةوقوع معارك ومجابهات بين البليميين والنوباتيين كانت من الأحداث المتكررة في الإقليم. فبحسب قريفيث إن المخربشة الديموطيقية فيلة رقم 371 المؤرخة لسنة 373م تحتوي إشارات للبليميين والنوبة وأنها أشارت لمعركة وقعت بين القبيلتين في ذلك العام انتهت بانتصار البليميين على النوباديين وأخذهم رهائن منهم.

ب.النقش المروي [42] REM

إذا انتقلنا إلى النقش المروي REM 94، بالرغم من قصور فهمنا له، إلا أن كثير من العلماء الذين حاولوا تحليله، بدءاً بالخبير قريفيث، اتفقوا على طبيعة موضوعه بشكل عام وهي تسويات في الأراضي بين ملوك ثانويين متصارعين وأن مسرح الصراع النوبة السفلى. فاقترح قريفيث أن خرمدويا ملك مروي كان يقيم في نبتا أو مروي وأنه غزا النوبة السفلى وأنه أشرف على تقسيم أرضها بين الملوك المتصارعين فخصص المنطقة بين تليليس وإبريم (شملوك) للبليميين.

الأستاذ ميليت تقبل معظم تحليلات قريفيث لكنه اختلف معه في هوية الملك خرمدويا ؛ فذهب إلى أنه ملك النوباديين، والملك الآخر المذكور في النقش، يسميني (قوري لخ) أي الملك الأعظم، هو ملك البليميين. أما سبب عدم وجود اسم القبيلتين في النقش، قال ميليت إن المرويين ربما كانوا يطلقون على القبيلتين أسماء تختلف عن تلك التي عُرفت بها القبيلتان عند الأجانب. ويعتقد ميليت إن النقش يحتوي كثير من الأسماء القبلية ؛ مثل لاكا، شاقا، ناسادوكي، تيمية، ناخابار، و ماخو وأخرى. وقال إن المسمى ماخو يشير إلى البليميين وملكهم يسميني، وساوى بين هذا الأخير وبين ملك اسمه إسميني عُثر على اسمه منحوتاً في مخربشة إغريقية من معبد كلابشة. بالمقابل قال ميليت إن المسمى» ناخابار» يشير للنوباديين وهم رعايا الملك خرمدويا. وربط ميليت بين REM 94 و بين الديموطيقي فيلة 371، بل وأعطى REM 94 توريخ فيلة 371 وهو سنة 373 م .

جدير بالذكر إن باحثين آخرين أعطوا خرمدويا هوية بليمية اعتماداً على البادئة « خارا» في اسمه والتي وجدت أيضاً في أسماء شخصيات بليمية في الوثائق المعروفة بوثائق الجبلين بما فيهم الملك الذي أصدر الوثيقة جبلين 1. (اسمه خاراخن). من هؤلاء الباحثين الإيطالي مونريه دي فيارد والإنجليزي كيروان وآخرين .

إذا كان العرض الذي قدمناه في الفقرات السابقة يظل من حيث المنهج فرضية يمكن قبولها أو رفضها ؛ ظهرت أدلة كتابية مؤكدة تؤرخ للقرن الرابع الميلادي، وبداية الخامس حسمت هيمنة البليميين وإقامة مملكتهم في النصف الشمالي من النوبة السفلى. تتمثل هذه الأدلة في روايتين ؛ الأولى للأسقف إبيفانيوس السلامي والثانية رواية المؤرخ البيزنطي أوليمبيودوروس.

ج. رواية القس إبيفانيوس [43]:

إبيفانيوس هو مؤلف كتاب عنوانه De XII Gemmis. ولد بفلسطين عام 315 م، لكنه انتقل لمصر وعاش لفترة مع الرهبان المصريين. توفى سنة 403 م. يقول في رواية طويلة كتبت بأكثر من لغة من بينها اللاتينية والقبطية والجورجية، نقتطف آخرة فقرة منها، يقول: في زمانه (-315 403 م) كانت مدينة كلابشة تحت سيطرة البليميين. هذا الجزء من الرواية المكتوب باللاتينية يجري على النحو الآتي:

« تقع برنيكي بعد إلفنتيني وكلابشة التي (أي كلابشة) يسيطر عليها البليميون، لكن مناجم هذا الجبل تحولت إلى خرابات. توجد أيضاً مناجم أخرى في نفس

المنطقـة الأجنبيـة التـي تتبـع للبليميـين. تلـك الجبـال قريبـة مـن كلابشـة، ومنهـا يسـتخرج الإثيوبيـون الزمـرد.».

النسخة القبطية ربما كانت أوضح. فهي تقرأ:

« تقـع برنيـكي في منطقـة الجبـل، عـلى مقربة مـن إلفنتيني وكلابشـة التي (أي كلابشـة) يسسـطر عليهـا البليميـون الآن. أمـا مناجـم الجبـل فقـد أصبحـت خرابـات، لكـن توجـد مناجـم أخـرى في نفـس المنطقـة التـي يقطنهـا البليميـون، كـما توجـد مناطـق بالقـرب مـن كلابشـة يسـتخرج منهـا الكوشـيون الزمـرد».

برنيـكي المذكـورة في الروايـة هـي ميـناء عـلى سـاحل البحـر الأحمـر الغـربي أنشـأه بطليمـوس الثـاني. معنـى ذلـك أن الميـناء يطـل عـلى أرض تتبـع للبجـا بشـكل عـام. أمـا الجبـل فيقصـد بـه جبـل كان يسـيطر عليـه الرومـان يحتـوي عـلى مناجـم للزمـرد، ويقـع في منتصـف المسـافة بـين برنيـكي وإقليـم طيبـة. المنطقـة الأجنبيـة تشـير للصحـراء الشرقيـة. باحثـون مـن بينهـم محـررو موسـوعة FHN اقترحـوا أن سـيطرة البليميـين عـلى كلابشـة حدثـت في أواخـر عهـد ثيودوسـيوس الأول (-378 395 م) كـردة فعـل لإصـداره المرسـوم االـذي قـضى بإبطـال كل مظاهـر الوثنيـة في كل ولايـات الإمبراطوريـة.

روايات ثانوية تؤرخ للقرن الرابع الميلادي تذكر البليميين:

هنالـك إشـارات للبليميـين في مصـادر رومانيـة – بيزنطيـة يصعـب تقييـم قيمتهـا التاريخيـة أو الاجتماعيـة سنسـتعرضها باقتضـاب في الفقـرات التاليـة. تتحـدث :

أ.رواية يوسيبيوس القيصري:

تتحـدث عـن وصـول وفـد مـن البليميـين إلى بـلاط الإمبراطـور قسـطنطين الأول (-306 337 م) في القسـطنطينية. مصـدر الروايـة كتـاب بعنـوان « سـيرة قسـطنطين « لمؤلفـه القـس يوسـوبيوس القيـصري (ت: سـنة 339م). تنـاول فيـه مناقـب قسـطنطين مثـل التسـامح الدينـي واعترافـه بالمسـيحية كأحـد الأديـان الشرعيـة في الإمبراطوريـة. ومـن مناقبـه تعاملـه مـع القبائـل البربريـة التـي كانـت تكـثر في أقاليـم الإمبراطوريـة ؛ وقـال يوسـوبيوس : إن الـرب وضـع كثـير مـن القبائـل البربريـة تحـت حكمـه. ثـم ذكـر وفـود تلـك القبائـل وكان مـن بينهـا البليميـين والهنـود والإثيوبيـين. تقـول الروايـة:

« حقيقـة سـفراء مـن كل بقـاع العـالم كانـوا يأتـون باسـتمرار جالبـين معهـم كهدايـا أنفـس الأشـياء التـي تنتجهـا بلادهـم حتـى أنني شـاهدت بنفـسي ذلـك المنظر المؤثـر لأجانب (برابـرة) واقفـين متراصـين أمـام بوابـة القصرالإمبراطوري....ويمكـن مشـاهدة البليميـين، الهنود والإثيوبيـين.... كل واحـد مـن هـؤلاء كان يأخـذ دوره كـما في موكـب (مصـور) في تقديـم

هديتـه المحليـة النفيسـة...... مشـرين بذلـك لتقديـم خدماتهـم للإمبراطـور وتحالفهـم معـه. كان الإمبراطـور يتقبـل منهـم الهدايـا ويجازيهـم عليهـا بسـخاء....... أمـا أولئـك الأكـثر تميـزاً بينهـم، فـكان ينعـم عليهـم بألقـاب رومانيـة تشريفيـة « [44].

أليـس مـن الجائـز أن تكـون هـذه الوفـود جاءت في مهـام رسـمية مثـل عقـد تحالـف أو تجديـد اتفـاق قديـم، أو لعـرض مظلـمات أو غـيره. مـاذا يعنـي أن ينعـم الإمبراطـور عـلى وجهائهـم بألقـاب رومانيـة تشريفيـة ؟ الآ يعنـي ذلـك أن هـؤلاء الوجهـاء هـم مـن حلفـاء للإمبراطوريـة، معترفـين بسـيادتها عـلى بلادهـم؟. بالرغـم مـن جـواز هـذه الاحتـمالات وجدنـا بعـض الباحثـين ربـط وجـود الوفـود في القسـطنطينية بمناسـبة احتفـال البـلاد بمـرور 30 عامـاً (tricennalia) عـلى تتويـج الإمبراطـور قسـطنطين التـي كانـت سـنة 336م.

الروايـة التاليـة تُفهـم في نفـس السـياق (اهتـمام الأباطـرة بتقويـة التحالفـات مـع زعـماء القبائـل في الولايـات الطرفيـة). يلاحـظ أن الفـرق الزمنـي بـين الروايتـين لا يتعـدى التسـع سـنوات.

ب. رواية مقتطفة من إرشيف الضابط الروماني فلافيوس أبينايوس:

أسـاس الروايـة إنهـا ذُكـرت كواقعـة أو دليـل عـلى الإنجـازات والخدمـات التـي قدمهـا الـراوي الضابـط في الجيـش الرومـاني (فلافيـوس أبينايـوس) في شـكواه للأباطرة قسـطنطينوس و قسـطانس ضـد رئيسـه الـذي رفـض ترقيتـه لرتبـة كومانـدور. فقـام الضابـط بذكـر عمـل كبـير، أو هـو يعتقـد بأنـه إنجازكبـير قـام بـه، وهـو اصطحـاب مجموعـة مـن اللاجئـين البليميـين إلى البـلاط الملـكي في القسـطنطينية. حـدث ذلـك حـوالى سـنة 345م. يقـول أبينايـوس مخاطبـاً الإمبراطـور:

«صـدرت لي توجيهـات مـن سينيسـيو، الكونـت السـابق للمنطقـة الحدوديـة لنفـس الإقليـم (طيبـة) بـأن اصطحـب لاجئـين بليميـين إلى مقـرك المقـدس في القسـطنطينية. فأخذتهـم إلى هنـاك يصحبنـا الكونـت، وتـم تقديمهـم لجلالتك....ومـن ثـم صـدرت لي توجيهـات للذهـاب مـع أولئـك اللاجئـين إلى بلادهـم. فمكثـت معهـم ثـلاث سـنوات كنـت خلالهـا أرسـل التقاريـر لبلاطكـم المقـدس45. «

يبـدو جليـاً أن النـص يحتـوي إشـارات إلى علاقـة مـا، ربما تحالـف أو اتفـاق بين جماعة مـن البليميـين والسـلطات الرومانيـة في مـصر(foederate relationship). ويفهـم كذلـك أن الإمبراطـور أصبـح يعلـم بموضـوع اللاجئـين. مـن يكـون هـؤلاء الموصوفـون ب اللاجئيـين ؟. ومـا هـي قضيتهـم وأيـن بلادهـم التـي اصطحبهـم إليهـا الضابـط أبينايـوس؟ هـل في النوبـة السـفلى أم في الصحـراء؟ أم في مـصر؟ الراجـح لدينـا إنهـا في دودي كاسـخينوس أو جنـوب

مصر. هل يمثل هؤلاء اللاجئون مجموعة بليميين هُضمت حقوقها في العيش في بلادها فحملت شكواها للسلطات الرومانية التي بدورها نصحتهم بالذهاب لمقابلة الأباطرة؟

الرواية التالية تؤرخ لبداية القرن الخامس وفيها نجد الدليل القاطع على هيمنة البليميين على جزء مقدر من وادي النيل السوداني أقاموا فيه مملكتهم.

مصادر القرن الخامس الميلادي:

أ.رواية أوليمبيودوروس [46]:

تأكدت سيطرة البليميين على كلابشة (ومدن أخرى في دودي كاسخوينوس) من رواية للمؤرخ الديبلوماسي البيزنطي أوليمبيودوروس في كتاب ألفه عن تاريخ الفترة 407- 425م.

بحسب ترجمة المؤلفة تجري الرواية على النحو الآتي:

« إنه بينما كان موجوداً في أسوان وطيبة بغرض جمع معلومات.... التقاه بعض من شيوخ قبيلة البليميين وكهنتهم (phylarchos & prophets) من نواحي مدينة كلابشة. قال: فأخذوني لكلابشة ليطلعوني على المناطق الأخرى (التابعة لهم) التي تمتد لمسافة رحلة خمسة أيام من جزيرة فيلة وحتى المدينة المسماة بريما التي وقعت، هي وأربعة مدن أخرى، تحت حكم البرابرة (البليميين) منذ وقت طويل. وقال : نما إلى علمي أنه توجد في تلك الجهات مناجم زمرد.... قال : و قد طلبوا مني أن أقومبزيارتها لكن تبين لاحقاً أنه لا يمكن زيارتها إلا بموافقة الملك (باسيليكوس).

جدير بالتنبيه إلى أن « المدينة المسماة « بريما « في الرواية يقصد بها قصر إبريم، وهو الاسم الذي عرفت به في المصادر اللاتينية ومعناه « الأولى «.

متى بدأت سيطرة البليميين على هذه المنطقة وما مصير منافسيهم النوباديين؟

لا بأس من قبول اقتراح مؤلفي FHN(الحاشية السابقة) بأن هذا الحدث تم في أواخير عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (378- 395 م)كردة فعل منهم لإصداره قرار إبطال كل مظاهر الوثنية في ولايات الإمبراطورية الرومانية. بعد أن أحكم البليميون سيطرتهم على المنطقة بين أسوان و قصر إبريم أضطر النوباديون للتقهقر باتجاه الجنوب مؤسسين مواقع جديدة مثل بلانة وقسطل حيث توجد مقابر ملوكهم. اتخذ النوباديون هذه الخطوة إما كنوع من التكتيك أو ربما بتدخل من وسطاء رومانيين. روايات متأخرة ترجح أن المسألة تكتيك لأن النوباديين قاموا بعد ذلك بعدة محاولات

للاستيلاء على كلابشة. هذه المحاولات موثقة في مصدرين : الأول ما يعرف برسالة فونين ملك البليميين لأبورني ملك البنوباديين. المصدر الثاني هو نقش الملك سيلكو الشهيرالمنحوت والمصور في جدران معبد كلابشة.

ب- رسالة فونين ملك البليميين لأبورني ملك النوباديين [47]:

الرسالة طويلة لكن نسبة لأهميتها لتصور الأوضاع السياسية والاجتماعية نقدم للقارئ مقتطفات منها بترجمة شبه حرفية من قبل المؤلفة استناداً على ترجمة الأستاذ ج. راي.

« ملك (باسيلوس)البليميين فونين يكتب لملك (باسيلوس)النوباديين أبورني. بعد التحايا. أكتب لمعاليك لأنك سبق أن خاطبتني قائلاً: الرجل العظيم هو الذي يسود في قبيلته. مثل ما لك ابن، أنا كذلك لدي ابني (اسمه) بريتيك. ولدي إخوان أييني.فلا تعتقد أنه ليس لدي عشيرة. أنا أريد الآن أن يقوم ابني بريتيك وإخوان آييني لبحث (موضوع) مقتل آييني. وقد وصلني هنا سفراؤك ولكني منعت بريتيك وإخوان آييني(من التعرض لهم). لا أحد يستطيع إعلان حرب من غير موافقتي. لكن رجالك أنت ربما لا يأتمرون بأمرك. لقد كتبت لي قائلاً: دعنا نتفق مع بعض فأضم ثروتي الحيوانية من أبقار وضأن لثروتك فترعى كلها مع بعض. وقد رحبت أنا بهذا الكلام. لكن إذا رغبت بأن يبقى كل واحد منا في دياره فليكن.

بالتأكيد سبق أن غزا سيلكو كلابشة واستولى عليها. واليوم قمت أنت بنفس الشئ. سيلكو كان قد طلب مني أن أعطيه ضأن وأبقار وجمال مقابل الخروج من أرضنا. فاستجبت له وأعطيته سؤله. لكنه بالمقابل احتقرنا ومنعنا.فكتبت مخاطباً آييني لأجل التوصل معه لسلام. وأرسلت مبعوثين بعد أن أعطانا الأمان. لكن سيلكو احتقرهم. وفي الموقع المسمى فونتاو قتل (سيلكو) شيخ القبيلة والأمير(hypotyrannos) وأسر الكهنة. كل هذه أفعال معيبة. ونتيجة لهذه الأعمال من قبل سيلكو بخاصة تجاه آييني، غضبت أنا وحزنت وأعلنت الحرب على سيلكو.

الآن نسي الناس ما قاله سيلكو وآييني، هل نظل نحن متمسكين بها؟ لا. دعنا نتصالح كما الإخوة، وأنت بمثابة الأخ الأكبر. لتحقيق ذلك أخرج من أرضنا وأعد إلينا تماثيل الآلهة (باسيلوس) التي كانت في المعبد حتى ننعم بحياة سعيدة. وقد وصلتني مطلوباتك من الفضة والضأن والجمال. وقد قمنا بإرسالها لك. لذلك رجاء الخروج من أرضنا.... وسأمضي معك صلحاً. إذا لم تفعل فسون نضطر لقتالك.

أكتب لك بشأن أمور أخرى. المدعو باخينيوس هجم على (بلدة؟) دانات ودمرها. والآخر المسمى كوي اجتاح المنطقة الواقعة حول تابال كما غزا كابانتيا. نحن كلنا ملوك ولن نسمح لك بغزو أراضينا.

عندما جاني سفراؤك قمت على التو بتعيين اسكارو ابن إينيم ليتسلم أرضنا (منكم) وكنت قد صدقتك (بأنك ستعيدها لنا). والآن أقسم لك بأننا سنعيش بسلام. وأخيراً أنا قد قطعت عهداً لإخوان آييني...

أنا الفيلاركوس بريتيك أرسل سلامي لسيدي وأخي أبورني ملك النوباديين. كما أحيي آلهة كلابشة. (وأكرر) حال إرجاعك أرضنا لن نحترب مرة أخرى. سنصون السلم بأمانة.

أنا فونين، الملك، أرسلت (لك) بعير هدية. ونختم أنا وبريتيك بتذكيرك بالمدعو لاساتك. عليك ملاحقته. ولا تصغي لما يقوله المتمردون.

تعقيب:تم العثور في وقت سابق في كلابشة على نقش مكتوب بلغة إغريقية وضيعة للغاية يذكر شخصاً اسمه فونوين Phonoin يحمل لقب فيلاركوس يبدو أنه هو نفسه فونين صاحب هذه الرسالة بعد أن ارتقى لمنصب الملك48. هذه المعلومة ومعلومات أخرى نستقيها من هذا النص، تفيد في إلغاء مزيد من الضؤ على نظام الحكم عند البليميين الذي سنلخص أهم ملامحه بعد استعراض كل المصادر(انظر الخلاصة).

فحوى الرسالة إن ملك البليميين فونين قد خسر معركة ضد النوباديين بقيادة ملكهم أبورني كان أهم نتائجها فقدان مدينة كلابشة. نفهم كذلك أن فونين قد تزامن لفترة مع سيلكو، وهو الآن متزامن مع أبورني، وأن كلاهما، سيلكو وأبورني، قاما باحتلال كلابشة وأن سيلكو بعد زحزحزتهأو غيابه لفترة من السلطة، عاد مرة ثانية لحكم مملكة النوباديين. بالتأكيد الرسالة لا تخلو من غموض وذلك يعود لضعف قدرات من كتبها ولمحدودية فهمه لقواعد اللغة والنحو الإغريقية. لكن ما نرجحه هو أن هذه الرسالة كتبت بعد حملة سيلكوالثانيةعلى كلابشة عندما كان سيلكو مجرد باسيلوس ومثله كان أبورني. وهذا يظهر من قول سيلكو في نقشه الموجود في كلابشة أنه حضر لكلابشة وتافة مرتين واشتبك مع البليمييين.ثم توسلواله ليضع لهم شروطاً لعقد صلح بينهم. بعد ذلك تطورت الأمور على نحو مختلف لا نعرف عنه شيئاً فأصبح سيلكو باسيليسكوس (أي الملك الأعظم) كما نقرأ في نقشه.

قبل أن ننتقل لتحليل نقش الباسيليسكوس سيلكو نستعرض مصادر أجنبية

رومانيـة بيزنطيـة لهـا علاقـة بأحـداث المنطقـة وتسـاعد في إلقـاء مزيـد مـن الضـؤ عـلى علاقـة البليميـين بالنوباديـين مـن جهـة وعلاقتهـم بالرومـان مـن جهـة أخـرى.

ج. رسالة القس أبيون (تعرف أيضاً ببردية ليدن) للأباطرة الرومان [49].

بعـث القـس المسـئول عـن كنائـس أسـوان وإلفنتينـي للأباطـرة ثيودوسـيوس الثـاني (408- 450) وفالنتنيـان الثالـث (423- 455) برسـائل يشـكو فيهـا مـن هجـمات قبائـل النوباديـين والبليميـين. وبعـد أن أطـال الشـكوى أعلـن طلبـه وهـو أن ترسـل لـه السـلطات قـوات لحمايـة كنائسـه يكـون مقرهـا بالقـرب مـن الكنائـس. هـذا المصـدر والمصـدر التـالي يرجحـان أن القبيلتـين كانتـا تقـودان أحيانـاً هجـمات مشـتركة في وضـع أشـبه بالتحالـف ضـد عـدو مشـترك، بـلا شـك هـو السـلطات الرومانيـة في مـصر. نرجـح أن سـبب العـداء هـو قـرارات الإمبراطـور ثيودوسـيوس الأول التـي أشرنـا إليهـا سـابقاً.

د. روايـة المـؤرخ بريسـكاس (حـوالى 452-453م) حـول هزيمـة الرومـان للبليميـين والنوباديـين [50].

بريسـكاس مـؤرخ مشـهور كتـب تاريخـاً مـن سـبعة مجلـدات يغطـي الفـترة مـن 411-472 م. الأهـم مـن ذلـك أنـه يعتـبر شـاهد عيـان للأحـداث التـي يحكيهـا في هـذه الروايـة الطويلـة . ملخـص الروايـة أن القائـد الرومـاني الجـنرال ماكسـيميناس تمكـن مـن هزيمـة القبيلتـين مجتمعتـين ومـن بعـد ذلـك دخـل معهـما في مفاوضـات انتهـت بعقـد هدنـة مدتهـا مائـة عـام، وبفـرض شروط عـلى القبيلتـين تمثلـت في إطـلاق سراح كل الأسرى الرومـان سـواء أسرى الهجـوم الأخـير أو الهجـمات السـابقة مـن غـير دفـع ديـات، وكذلـك إعـادة الحيوانـات التـي نهبـت لأصحابهـا، وأيضـاً دفـع تعويـض للحكومـة الرومانيـة بسـبب مـا صرفتـه عـلى الحـرب. وكان الـشرط الأقـسى هـو أن تقـوم القبيلتـان بتسـليم الرومـان رهائـن مـن خـيرة أبنائهـم كضـمان لتنفيـذ الهدنـة. وأكـدت الروايـة تسـليم الرهائـن وكان مـن بينهـم أبنـاء لملـوك سـابقين مـن البليميـين والنوباديـين. وقـد تـم التوقيـع عـلى هـذا الصلـح في جزيـرة فيلـة بعـد أن تـم تسـليم الرهائـن. بالمقابـل، ومـما يدعـو للدهشـة والاسـتغراب، سـمح ماكسـيميناس المسـيحي للبليميـين والنوباديـين باخـذ تمثـال المعبـودة إيزيـس الموجـود في معبدهـا بفيلـة والعبـور بـه لبلادهـم مـرة كل سـنة وذلـك بغـرض الاسـتخارة، ومـن ثـم إعادتـه لمكانـه في الجزيـرة.

حـدث بعـد ذلـك بقليـل أن مـرض ماكسـيميناس بمـرض خطـير أدى لوفاتـه. وعندمـا علـم البليميـون والنوباديـون بالخـبر هجمـوا مـن جديـد واسـترجعوا رهائنهـم بالقـوة.

حـول سـبب هـذا الهجـوم المشـترك عـلى الحـدود الرومانيـة ربمـا يعـود برأينـا لتلكـؤ

روما في عهد إمبراطورها مارسيان في إمداد القبيلتين بالمبالغ المالية التي تم الاتفاق عليها في عهد الإمبراطور دايوكليشيان. من الملاحظ أن الهجوم وقع في عهد الإمبراطور مارسيان الذي صعد لسدة الحكم سنة 450م. واستمر عهده حتى سنة 457م. هل كان ذلك مصادفة ؟ داخلياً، عُرف عن مارسيان أنه قام بنقض الاتفاق مع قبيلة الهون الذي كان قد أبرمه معها سلفه ثيودوسيوس الثاني بعد توقيع هدنة مع القبيلة التي كان يرأسها آنذاك الملك البربري أتيلا. قضى ذلك الاتفاق بأن تدفع روما للهون 60000 (ستون ألف) رطل من الذهب لحظة التوقيع، ثم من بعد ذلك 2100 رطل ذهب سنوياً.شكلت هذه المبالغ عبئاً كبيراً على كاهل الشعب الروماني الذي فُرضت عليه ضريبة حرب لتوفير هذا المبلغ. لكن إثر وفاة ثيودوسيوس عام 450م،انتهز مارسيان إنشغال أتيلا ملك الهون بحروبات في الغرب فأمر بإيقاف المبلغ الذي كان يدفع له. لذلك لا نستبعد إن الإمبراطورمارسيان نفسه أمر بإيقاف الإعانات للبليميين والنوباديين الشئ الذى أدى لقيامهم بذلك الهجوم المشترك في عام 452م.

هـ. حملة القائد فلوروس حول رد هجوم بليمي- نوبادي [51].

تشير المصادر الرومانية المتعلقة بالسنة 453م إلى وجود قائد للقوات الرومانية اسمه فلوروس يحمل اللقب Comes Aeg.et Praef. Aug.)) يبدو أنه كان مقيماً بالإسكندرية. يقول المؤرخ إيفاقاريوس(Evagarius(في مؤلفه تاريخ الكنيسة إن القائد فلوروس تصدى للهجوم الذي حدث بعد وفاة ماكسيميناس ورد المعتدين لكنه تغاضى عن فكرة استرجاع الرهائن.

و. نقش الملك سيلكو [52]:

يقول النقش:

« أنا سيلكو ملك (باسيليسكوس [53] (**βασιλιςοκοσ** النوباديين وكل الإثيوبيين حضرت إلى كلابشة (تالميس) وتافيس (تافة) مرتين واشتبكت مع البليميين وتحقق لي النصر بفضل الرب (God). في المرة الثالثة انتصرت عليهم وسيطرت على كل مدنهم بقوة جيوشي. عندما غزوتهم في المرة الأولى توسلوا إلي أن أضع لهم شروطاً ونمضي صلحاً بيننا. فعقدنا صلحاً وأقسموا لي بآلهتهم وكنت اعتقد أنهم قوم شرفاء. وهكذا رجعت أدراجي إلى بلدي في الجنوب. عندما صرت ملكاً أعظماً (باسيليسكوس) ما كنت أتبع الملوك (**باسيلوس ςύελσ ιαβ**) بل كنت في المقدمة. ما كنت أترك الذين يناصبوني العداء مستقرين في إماراتهم إلا بعد أن يقدموا لي فروض الطاعة. فأنا أسد الشمال و دب الجنوب. لقد حاربت البليميين بين إبريم وتليليس وفي إحدى

المرات دمرت أوطان الآخرين ؟؟ القاطنين جنوب النوباديين لأنهم تحدوني. أما الحكام الذين يتحدوني فلا أتركهم ينعمون بالظل بل يجلسون تحت الشمس. ولا أسمح لهم بشرب الماء في بيوتهم ؛ لأنني حرمتهم من نسائهم وأطفالهم «.

هل يمكن أن نستنتج من هذا النقش أن سيلكو قضى على مملكة البليميين في وادي النيل في المعركة الثالثة كما يقول هذا النقش؟ وإذا صح ذلك هل بالإمكان قبول فرضية أن عهد سيلكو الملك الأعظم بدأ، كما نتصور، بعد مرحلة التحالف بين القبيلتين الذي تبدى في الهجوم المشترك على المواقع المصرية سنة 452 م ؟ يبدو لنا في ظل الأحوال السياسة التي توحي بوجود عدد من الممالك المستقلة الصغيرة تحت ملوك ثانويين أن أي واحد من الملوك المستقلين يمكن أن يعقد تحالفاً مع ملك البليميين أو ممثليه الموجودون في كلابشة. لذلك لا نستبعد حدوث عدة جولات من المعارك بين القبيلتين قادها ملوك ثانويون مختلفون. في الغالب تنتهي تلك المعارك بتقديم هدايا من البليميين للنوباديين في شكل فضة أو حيوانات، فيرجع المعتدون أدراجهم. من الملاحظ أن النوباديين يطلبون فضة ولم يطلبوا ذهباً المعدن المفترض أنه الأنفس والأعلى قيمة. تخلص الكاتبة إلى أن سيلكو حقق نصراً حاسماً على البليميين في جولته الثالثة هذه التي ربما حدثت خلال النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي. ترتب على هذا الانتصار خروج البليميين من كل مواقعهم في النوبة السفلى وفقدهم ملكهم النيلي للأبد. في مقابل خروجهم من النوبة ربما عرض الرومان عليهم أرضاً بديلة كنوع من التسوية. هذه الأرض البديلة هي جزيرة تانارالمذكورة في وثائق الجبلين.الدليل على نهاية مملكة البليميين النيلية أنه خلال زيارة المبشر الرسمي جوليان الذي أرسلتهالملكة ثيودورا زوجةجستنيان (توفت سنة 545 م) لتنصير ملك النوباديين حوالى سنة 543 م لم يكن هناك وجود لمملكة البليميين بل حل محلهم مباشرة جنوب أسوان النوباديون، وذكر يوحنا إن اسم مملكتهم هو نوباديا. ذكركذلك إن المنطقة الواقعة جنوب مملكة النوباديين مباشرة كانت تحت هيمنة مملكة أخرى تسمة ماكوريا (المقرة). وإلى الجنوب من الأخيرة قامت مملكة علوة54. إذن لا وجود للبليميين في أي بقعة من وادي النيل بين أسوان والخرطوم.

تعقيباتيوجد في نفس الجدار المنقوش عليه نقش سيلكو تصوير (باهت الآن) يصور سيلكو وهو يمتطي صهوة حصان ويتدثر بملابس تشبه الملابس التي يرتديها ملوك الرومان المعاصرين له. كذلك نراه يلبس على رأسه تاجاً قال بعض الباحثين والخبراء إنه يشبه التيجان المحلية التي تم العثور عليها في مدافن جبانة بلانة. يعلو التاج قرص مجنح قال بعض الباحثين إنه إشارة للسيادة الرومانية على مملكة

سيلكو.وربما كان ذلك صحيحاً. نخلص إلى أن الرومان قرروا اختيار النوباديين كحلفاء لهم في المنطقة فقدموا لزعيمهم سيلكو معينات ساعدته على هزيمة البليميين. بالنسبة للبليميين نعتقد أن الرومان توصلوا معهم لتسوية تمثلت في تقديم إعانات مالية وعينية، وهذه أثبتها المؤرخ بروكوبيوس، إضافة، كما أسلفت الذكر، لمنحهم جزيرة في الجبلين في جنوب مصركمساعدة لهم في زيادة مواردهم والاستمرار في تقديم الخدمات المطلوبة من قبل الرومان في إطار سياسة التحالف مع القبائل الطرفية.

ز. رواية بيسا عن الأب شنوتي وملك البليميين [55] :

بيسا هو خليفة الأب شنوتي في رئاسة الدير الأبيض في إخميم بمديرية سوهاج. توفى الأب شنوتي حوالى سنة 466م ؛ وعليه يجوز توقيت هذه الرواية لأي سنة من سنوات أواسط القرن الخامس الميلادي؛كتب النص بالقبطية البحيرية حيث جاء اسم البليميين بهذا الشكل Balnemmowi)). كل المكتوبات باللغة القبطية بمختلف لهجاتها تؤرخ لتاريخ متأخر (الرابع ميلادي وما بعد) ومعظمها حكايات وقصص تنسب لأبا شنوتي، والحكايات في معظمها تهدف لتسليط الضؤ على الرجل الذي اعتقد مريدوه بقدسيته وقدرته على عمل المعجزات. ونعتقد أن هذه الرواية كتبت في هذا السياق.

الرواية بلسان بيسا، وفيما يلي ترجمتها بتصرف:» حدث أن البليميين تحركوا باتجاه الشمال واحتلوا بعض المدن وأخذوا أسرى وحيوانات. ومن ثم قفلوا راجعين باتجاه الجنوب وتوقفوا عند بطلمية..... فذهب إليهم والدي، أبا شنوتي بغرض تخليص الأسرى. فعبر النهر ليصل إليهم في الضفة الشرقية؛ فتصدى له بعض رجالهم رافعين حرابهم يريدون قتله. في الحال تخشبت إيديهم وظلت بهذه الحالة مثل قطع من الخشب. فصرخوا من شدة الألم. حالة تخشب الأيدي انتقلت لكل أفراد المجموعة. واصل أبا شنوتي سيره إلى أن وصل مقر الملك (ملك البليميين) وكان الأخير قد عرف حقيقة أبا شنوتي أن له قوة خارقة لا يراها الآخرون. فما كا من ملك البليميين إلآ أن سجد أمام قدمي أبا شنوتي وتضرع له أن يخلص رجاله من حالة التخشب. فاستجاب أبا شنوتي، فرسم عليهم علامة الصليب فعادوا أصحاء...»

يتضح من الرواية أن هجمات البليميين على السكان المسيحيين في جنوب مصر، وبخاصة في الأديرة كانت متواصلة. غير أننا لا نستطيع أن نحدد عما إذا كان المعتدون يمثلون بليميي النوبة السفلى أم أن الحادثة وقعت بعد فقدان البليميين لمواقعهم في النوبة السفلى. لكن المؤكد أن مقر ملك البليميين كان في الضفة الشرقية غير بعيد من النيل في محيط دير أبا شنوتي.

ح. وثائق البليميين من الجبلين56:

هـي مجموعـة تتكـون مـن ثلاثـة عـشرة قطعـة مـن جلـد الغـزال تـم اسـتخدامها لكتابـة وثائـق قصـيرة، أطولهـا تتكـون مـن سـبعة عـشرة سـطراً وأقصرهـا مـن سـبعة أسـطر. اللغـة المسـتخدمة إمـا إغريقيـة أو قبطيـة أو خلطـة إغريقـي وقبطـي. سـبب ربـط الوثائـق بقريـة جبلـين في جنـوب مـصر هـو أنهـا جـاءت مـن هنـاك حيـث تـم شراؤهـا مـن فـلاح ينتمـي لهـذه القريـة. لكـن كثـير مـن الباحثـين مـا زالـوا متشـككين في تحديـد موقـع جزيـرة تانـار المذكـورة في الوثيقتـين الملكيتـين هـل تقـع في جنـوب مـصر (في الجبلـين نفسـها) أم أن تانـار تقـع في النوبـة السـفلى. الخبـير إمـيري قـال إن جزيـرة تانـار هـي جزيرةموعـلا في الضفـة الشرقيـة للنيـل جنـوب الجبلـين [57].

تتفـاوت هـذه الوثائـق في أهميتهـا التاريخيـة، حيـث نجـد عـشرة منهـا تتحـدث عـن معامـلات بـين أفـراد مـن نـوع بيـع أو شراء أو توثيـق ديـن. هنـاك وثيقتـان صدرتـا مـن ملكـين بليميـين تتعلقـان بجزيـرة تسـمى تانـار. الوثيقـة رقـم 13(FHN 339) صـدرت باسـم ملـك البليميـين برخيـا وتتحـدث عـن موضـوع مختلـف بعـض الشـئ. اتفـق الباحثـون أن كل الوثائـق تعـود للبليميـين لعـدة أسـباب أولهـا أن ثلاثـة منهـا أصدرهـا ملـك بليمـي ذكـر اسـمه في صـدر الوثيقـة (أنـا فـلان ملـك البليميـين). سـبب ثـان هـو أنـه توجـد في بقيـة الوثائـق مـؤشرات تربطهـا بالوثائـق الملكيـة، وكذلـك ببعضهـا البعـض ؛ مثـلاً تكـرار نفـس الأسـماء، وتكـرار اسـم نفـس الكاتـب. مـن جهـة أخـرى اسـتبعد العلـماء صلـة المصريـين بـأي وثيقـة بسـبب أن الأسـماء الـواردة فيهـا ليسـت مصريـة.

فيـما يتعلـق بتوريـخ وثائـق الجبلـين، كان الجيـل الأول مـن العلـماء الذيـن تدارسـوها مثـل الخبـير كـرال Krall)) والخبـير ويسـلي Wessely)) قـد صرحـا بصعوبـة تحديـد زمـن كتابتهـا، لكنهـم قدمـوا تقديـرات تـتراوح بـين نهايـة القـرن الخامـس الميـلادي، وبدايـة السـادس أو السـادس بشـكل عـام [58]. سـنذكر في الفقـرات التاليـة الوثائـق الملكيـة ، إثنتـان منهـما تتحدثـان عـن جزيـرة تانـار. تقـول الوثيقـة الأولى:

« أنـا خاراخـن، ملـك (باسيليسـكوس) البليميـين أكتـب لأبنـاء خاراخـن، خـارا بتخـور و خاراخيـت ، بأننـي أمـرت بـأن أوكل إليكـما إدارة الجزيـرة المسـماة تانـار، وأنـه لا يوجـد أمـر لأي شـخص يمنعكـما. لكـن إذا بـدرت ممانعـات مـن الرومـان لتسـليم الضريبـة المفروضـة، فعـلى الفيلاركـوس والهايبوتايرانـوس القبـض عليهـم حتـى يسـددوا الضريبـة المسـتحقة عـلى جزيـرتي «

توجـد أربعـة سـطور تـلي مـتن الرسـالة ؛ نجـد في السـطرالأول اسـم الملـك و لقبـه

الملكي وأخيراً شكل مرسوم عبارة عن دائرة يخرج من محيطها خط هكذا(O_). في الثاني اسم الشاهد الأول ولقبه وهو الدوميستكوس لايزي. في السطر الثالث يوجد اسم و لقب الشاهد الثاني وهو الدوميستكوس تيوتيكنا. في السطر الأخير نجد اسم الكاتب سانسنوس والتوريخ بنظام السنة المالية.

الوثيقة الأخرى أصدرها ملك بليمي اسمه بوكاتمني.وهي تقرأ كالآتي:

« أنا بوكاتمني، الملك (باسيليسكوس) الأشهر، اكتب إلى الكاهن باو بأنني منحتك إدارة جزيرة تسمير، المعروفة ب تانار من الآن وإلى الأبد. وأنا راض تماماً بهذا القرار».

يلي ذلك سطرنقرأ فيه: « كتبتها أنا الكاتب أقاثون، في اليوم الثالث والعشرين من شهر أثير، السنة المالية الحادية عشرة (11th indiction)».

ملاحظة: سبق اسم الملك في السطر الأول علامة الصليب.

الوثيقة الثالثة مكتوبة باللغة القبطية وهي صادرة من ملك البليميين برخيا لامرأة لها اسم وثني (أمناس) وآخر مسيحي (صوفيا) تتحدث عن موضوع غير مفهوم. من الأمور المهمة في هذه الوثيقة إن الملك برخيا ذكر أنه وصل للحكم عقب الملك خاراخن مما يوحي باستقرار الأوضاع في مملكة البليميين وامتدادهالحوالى ثلاثة أجيالعلى أقل التقديرات.يلاحظ عن الوثيقة أيضاً أن كاتبها أقاثون قد مر ذكره في وثيقة أخرى باعتباره الكاتب مما يشكل عامل ربط بين الوثائق. من الشهود على محتوى هذه الوثيقة الملك نفسه، ورجل اسمه لايزي ظهر كشاهد في وثيقة أخرى، وآخرون يحملون الألقاب هايبوتايرانوس و فيلاركوس. كل ذلك يعزز من فكرة نسبة كل الوثائق للبليميين.

تعقيب :من الملاحظات على الوثيقة الأولى توقيع الملك واستخدامه العلامة O_ أمام اسمه.

ط. ثقافة البليميين المادية في وادي النيل:

في أبسط تعريف له، يقصد بمصطلح « ثقافة مادية « مخلفات مادية مثل الفخار، الصناعات الصغيرة، عادات الدفن وطرز المعمار. المجموعات البليمية التي استقرت في بعض المدن المصرية الجنوبية على أيام دولة البطالمة لا يُعرف لها مخلفات محددة؛ بل الاعتقاد السائد وسط العلماء هو إما أنها تبنت ثقافة المجتمع الذي عاشت وسطه أو أن مخلفاتها لم تكتشف أو لم يتم التعرف عليها بعد. الشئ نفسه يمكن أن يقال عن ثقافة البليميين المادية في المعسكرات الرومانية في دودي كاسخوينوس حتى وقت إخلائها. ؛ لكن بعد إخلاء المعسكرات وجلاء الرومان حوالى سنة 298 م

تنازعت المنطقة القبائل المحلية ولم تفلح سياسة السلطات الرومانية في مصر فيوجود حل لهذه المشكلة. وشمل الصراع منطقة النوبة المروية التي تبدأ جنوب المحرقة. المصادر الكتابية تبين أن التنافس انحصر في قبيلتين ؛ هما النوباديين (أو النوباتيون كما في بروكوبيوس) والبليميين.

التنقيباتالأثرية التي جرت منذ العام 1907 وحتى وقت غرق المنطقة عام 1964 كانت موجهة لإنقاذ آثار المنطقة من الغرق المحتوم بسبب مشروع بناء خزان أسوان ثم توسعته فيما بعد ليصبح خزان السد العالي. أول اكتشاف لآثار المنطقة موضوع دراستنا حدث في العام نفسه، 1907. وقد أطلق عليها مكتشفها، الأمريكي جورج رايزنر، مسمى « ثقافة المجموعة س « أو (X-Group Culture). تميزت الثقافة بفخارمميز بأشكاله وتقنيته وزخارفه، وهو بالرغم من وجود الأثر الروماني فيه، يختلف عن سابقه الروماني في دودي كاسخوينوس، وسابقه المروي جنوب المحرقة. اكتشف رايزنر وفيرث من بعده مدافن عادية لعامة الناس. التنقيبات اللاحقة في الثلاثينات اكتشفت الحد الجنوبي لثقافة المجموعة س وكان في قرية سيسيبي شمال الشلال الثالث. وهكذا بسبب تسمية رايزنر غلب على هذه المرحلة الزمنية التى ساد فيها هذا الفخاروتلك القبورب مسمى حقبة المجموعة س، أو المجموعة المجهولة. وقد امتدت الحقبة لحوالى مائتي عام (350 - 550 م) ظهر بعدها الفخار المسيحي وبقية آثار الحقبة المسيحية.

حتى العام 1931، لم توفق بعثات التنقيب المتتالية في العثور على مقار أو عواصم مملكتي البليميين و النوباديينأو على مدافنهم االتي يفترض أن تكون ملكية. لكن في ذلك العام حدث اختراق مهم حيث تم العثور على مدافن ركامية (تلية)، بعضها بأحجام ضخمة، في موقعين إثنين ؛ الأول بلانة على الضفة الغربية للنيل، والثاني قسطل على الضفة الشرقية في مقابلة بلانة تقريباً (الخريطة 3). تبين من المعثورات في غرف الدفن (خاصة التيجان) أن الجبانتين ملكيتان. لكن بما أنهما تقعان جغرافياً خارج حدود مملكة البليميين التي حددتها رواية أوليمبيودوروس، وحددها، إلى حد، ما نقش سيلكو (الذي حارب البليميين بين إبريم و تليليس) فقد اتفق جمهور العلماء (عدا قلة منهم) أن جبانتي قسطل وبلانة هما مدافن ملوك النوباديين.

أما عن حكام البليميين فقد اعتقدالبعض أن يتم اكتشافها في موقع قصر إبريم حيث توجد جبانات ومدافن تلية ركامية تماثل تلات بلانة من حيث المعمار لكنها أقل حجماً. أجرى حفريات قصر إبريم الخبير و. دبليو إميري في عام 1961، لكنه

تـوفى قبـل أن يتمكـن مـن نـشر نتائجـه، فقـام بنشرهـا نيابـة عنـه الخبـير أنتـوني ميلـز .A Millsعـام 1982 [59].

مثـل بقيـة المواقـع المنتميـة لحقبـة المجموعـة س، تنتـشر في إبريـم مئـات التـلات، قـام إمـيري بفتـح بعضهـا في الجبانـة رقـم 192. وفيهاعـثر عـلى قبريـن فقـط يتكونـان مـن حجـرتي دفـن(بقيـة القبوربهـا حجـرة دفـن واحدة).أكـبر القبريـن هـو 2/192 الـذي تبلـغ محيـط تلتـه حـوالى 19 مـتراً، وارتفاعـه آنـذاك حـوالى متريـن ونصـف المـتر. تمكـن اللصـوص مـن الوصـول لحجـرة الدفـن ونهـب محتوياتهـا. أمـا صاحـب القـبر فهـو رجـل يبـدو أنـه كان يرقـد عـلى نقالـة خشـبية تـم العثـور عـلى بقايـا هيكلهـا. في الحجـرة الثانيـة التـي لم يصـل إليهـا اللصـوص، تـم العثورعـلى عـدد مـن القرابـين مثـل أواني فخاريـة معدنيـة، زجاجيـة، خواتـم أصابـع مـن الفضـة وصناديـق مـن العاجلكنهـا عـلى كل حـال لا تبـدو مناسـبة مـع شـخصية ملـك. القـبر الثـاني (23/192) أقـل في الحجـم ، بلـغ محيـط تلتـه حـوالى 11 مـتراً وارتفاعهـا حـوالى متريـن. عـثر بداخـل حجـرة الدفـن عـلى جثامـين أحـد عـشر شـخصاً، ربمـا أضحيـات وربمـا دفنـات جماعيـة عاديـة. لكـن لم يتـم التعـرف عـلى صاحـب الدفنـة الرئيسـة[60].

لكــن الســؤال الــذي يحتــاج لإجابــة هــو لمــاذا نتوقــع العثــور عــلى مقابــر ملــوك البليميـين في المنطقـة النيليـة مـن مملكتهـم الممتـدة لمئـات الأميـال شرق النيـل.؟ حقيقـة هنـاك علـماء يعتقـدون، وهـم برأينـا، محقـون في هـذا الاعتقـاد، بـأن ملـوك البليميـين مـا كانـوا يقيمـون في المواقـع النيليـة بـل أقامـوا في مواقـع في الصحـراء الشرقيـة قريبـة مـن النيـل، لكنهـم كانـوا يأتـون لزيـارة المواقـع النيليـة مـن وقـت لآخر.هـذا الشئ ينطبـق عـلى كل ملـوك البليميـين، سـواء أولئـك الذيـن ظهـروا في وثائـق كلابشـة أو الآخريـن الذيـن ظهـروا في وثائـق الجبلـين.61. هـذا الـرأي يبـدو معقـولاً جداًويمكـن التدليـل عليـه مـن بعـض الروايـات. كمثـال روايـة أوليمبيـودورس، فهـي تبـين بجـلاء أن الملـك لم يكـن موجـوداً في إبريـم عندمـا زار أوليمبيـودوروس المدينـة بصحبـة الفيلاركـوس والكهنـة.

إذا كان الأمـر كذلـك، مـن هـم أصحـاب مدافـن قـصر إبريـم. يبـدو ممكنـاً جـداً أن القبـور المميـزة بغرفتـي دفـن وتـلات كبـيرة بعـض الشـئ كانـت قبـور الشـخصيات المهمـة في حكومـة إبريـم. نقصـد بهـؤلاء كل المسـؤلين مـن حملـة الألقـاب فيلاركـوس، هايبوتايرانـوس، كاهنإلخ).هـؤلاء يجـوز أن يدفنـو في القبـور كبـيرة الحجـم في جبانـات في وادي النيـل ؛ أمـا القبـور المتوسـطة والبسـيطة فهـي مدافـن بقيـة المسـئولين أو حتـى أفـراد مـن عامـة النـاس. المهـم في الأمـر أن مدافـن قـصر إبريـم تعكـس الثقافـة السـائدة في بقيـة المنطقـة بـين أسـوان وسيسـيبي، ثقافـة المجموعـة س التـي وجدناهـا في قبـور السـواد الأعظـم مـن سـكان المنطقـة.

الآثار و التنقيب الأثري
في شرق السودان

ما زال التنقيب الأثري العلمي في الصحراء الشرقية محدود ومشتت بين التنقيب في حقب ما قبل التاريخ والحقب التاريخية. وملاحظتنا الشخصية أن النوع الأول يحظى باهتمام أكبر. من جهة أخرى البعثات العاملة في الصحراء الشرقية (بشقيها المصري والسوداني) قليلة جداً مقارنة بعدد البعثات التي تعمل في المواقع النيلية. عموماً ، منذ ثمانينات القرن الماضي بدأ حراك نشط من قبل بعثات إيطالية استمرت تعمل حتى الآن. ثم دخلت الحقل في العقود الثلاثة الماضية بعثات بولندية وأخرى آسيوية بعضها متعاونمع أقسام آثار في جامعات سودانية.

الهدف من كتابة هذه الفقرة هو التعرف على الثقافات المادية التي تم اكتشافها في الصحراء الشرقية (موطن البجا) التي تؤرخ للحقبة موضوع هذا البحث (2200ق.م.580-م) ومحاولة معرفة هوية أصحابها وهل بالإمكان نسبتها لأي من القبائل البجاوية المعروفة تاريخياً.

لحسن الحظ تمت تنقيبات في مواقع تم توريخها لفترة زمنية تقع في إطارها الحقب موضوع بحثنا؛ تنقسم مواقع تلك الفترة الزمنية لقسمين ؛ الأول مواقع تؤرخ للألفية الأخيرة قبل الميلاد ؛ وهذه تقع فيها الحقبة البطلمية المصرية والحقبة الكوشية النبتية. القسم الثاني مواقع تؤرخ للألفية الأولى ميلادية، وهذه تندرج فيها الحقبة الرومانية البيزنطية في مصر، والمروية المتأخرة في كوش.

المعلومات التي سنذكرها في الفقرات التالية استقيناها بشكل أساسي من مقال جامع للأستاذ أندرية مانزو(A. Manzo) خبير آثار الصحراء الشرقية المعروف62.

أهم معالم الثقافة المادية في الصحراء الشرقية التي تم توثيقها من هذه الفترة معلمان؛ الأول فخار أطلقوا عليه اسم فخار الصحراء الشرقية (EDW).المعلم الثاني قبور بمنصات أسطوانية حجرية.

ما صفة هذا الفخار وتلك المنصات الجنائزية وما هو مدى انتشارهما ؟ وإلى أي مدى يمكن نسبتها للبجا؟

أ. الفخار:

الأشـكال الشـائعة فناجـين وكأسـات. هنـاك قليـل مـن القواريـر وشـكل رابـع ربمـا مباخـر. الزخـارف المسـتخدمة هـي الطبـع والتحزيـز. الألـوان السـطحية الأسـود والأحمـر. تـم التقـاط هـذا الفخـار مـن مواقـع في الصحـراء المصريـة جنـوب وادي حمامـات، ومواقـع رومانيـة - وبيزنطيـة عـلى سـاحل البحـر الأحمـر المـصري. في السـودان تـم العثـور عليـه في وادي العلاقـي، وادي قبقبـة وفي جبـال الأحمـر الداخليـة، في طابـوت وفي روملديـد شرق كسـلا وفي مناطـق البجـا الجنوبيـين عـلى الحـدود الإريترية الإثيوبيـة. أيضـاً تـم التقـاط هـذا الفخـار مـن مواقـع في النوبـة السـفلى بخاصـة المنطقـة الممتـدة مـن كلابشـة لـوادي قطنـة. الاسـتنتاج الـذي يمكـن طرحـه بخصـوص انتشـار هـذا الفخـار هـو وجـود علاقـة بـين مسـتخدمي هـذا الفخار(نفـترض أنهـم البجـا) وبـين سـكان وادي النيـل وكذلـك الجماعـات المقيمـة في القـلاع الرومانيـة. طبيعـة العلاقـة في الغالـب هـي تبـادل المصالـح والمنافـع ؛ بعبـارة أخـرى شـكل مـن أشـكال التجـارة بالمقايضـة، يمكـن مقارنتـه بمـا كان يحـدث بـين المدجـاي والمصريـين خـلال الفـترة الفرعونيـة. بضاعـة البجـا ربمـا شـملت منتجـات الحيوانات مثـل اللحـم المجفـف والدهـون الحيوانيـة و مصنوعـات جلديـة كالنعـال والحقائـب. وربمـا شـملت كذلـك حيوانـات حيـة مـن ضـأن وأبقاروجمال.بضاعـة سـكان وادي النيـل هـي في الغالـب أقمشـة وحاصـلات زراعيـة وأواني معدنيـة. جديـر بلفـت الانتبـاه أن الجمـل دخـل أرض البجـا في حـوالى القـرن الأول ق.م. لكـن انتـشر اسـتخدامه بوتـيرة أكـبر خـلال الفـترة الرومانية.وقـد لاحـظ خـبراء الآثـار زيـادة في المواقـع مـن هـذه الفـترة أرجعـوا سـببها لسـهولة حركـة القبائـل بسـبب اسـتخدام الجمـل كوسـيلة فعالـة للركـوب والنقـل والحركـة.

مـن جهةأخـرى يمكـن ملاحظـة أن تلـك المواقـع مـن النوبـة السـفلى التـي وجـد فيهـا هـذا الفخـار كانـت، بحسـب المصـادر الكتابيـة، مـن ضمـن مملكـة البليميـين. وعليـه يمكـن أن ينسـب هـذا الفخـار للبليميـين مـع لفـت الانتبـاه إلى أنـه كان يمثـل نسـبة ضئيلـة جـداً مـن جملـة الفخـار المكتشـف في النوبـة السـفللأمر الـذي يشـير لوجـود إثنيـات متعـددة بالإقليـم (مصريـة، رومانيـة، سـودانية) كانـت تقيـم في المنطقـة أو تعبرهـا جيئـة وذهابـاً.

ب. المنصات الجنائزية الحجرية :

هـذه المنصـات تمثـل الجـزء العلـوي مـن القبوروقـد تلاحـظ ارتباطهـا بالفخـار السـابق ذكـره. هــذه المنصـات لا تشـبه بـأي حـال مــن الأحــوال التـلات المميـزة لقبـور ثقافـة المجموعـة س مـن النوبـة السـفلى. طرحـت نظريـة أنهـا تمثـل مجموعـة مـن بجـا الداخـل (بـير نـوارات) حيـث وجـد بمعيتهـا فخـار الصحـراء الشرقيـة. القبـور تحـت هـذه المنصـات

احتوت على جثامين تتحذ الرقدة القفصائية داخل حفر دفن فطحاء.جدير بالذكر أنهتم العثور على دفنات مشابهة وصفها خبير الأنثروبولوجيا الطبيعية ستراوهول (Strouhal) في وادي قطنة في النوبة السفلى. أشكال أخرى من القبور ذوات المنصات الحجرية ولكن باختلافات هندسية شُوهدت في منطقة سنكات – هيا في ولاية البحر الأحمر السودانية. لكن لم يصل الخبراء لتفسير بشأنها ؛ ربما مزيد من التنقيبات المستقبلية تكشف عن هويتها.

خلاصات واستنتاجات: نظام الملك والحكم والإدارة في مملكة البجا البليميين

على ضؤ المادة التي استعرضناها في الصفحات السابقة المتعلقة بالبليميين سواء كانت كتابية أو آثارية توصلنا للخلاصات الآتية:

أ. طبيعة الملكية البلمية وأصلها

الملكية البليمية ملكية رعوية من نوع خاص، انبثقت من نخبة أرستقراطية يجوز أنها قبيلة البليميين نفسها. ومن ثم اعترفت بقيادتها قبائل أخرى تسكن الصحراء الشرقية ارتضت ترؤسها لهم وتقديم فروض الولاء والطاعة لها. سبب الانقياد لقبيلة معينة ربما يعود لعوامل اجتماعيةتوفرت للقبيلة المختارة مثل الثراء في القطيع أو الكثافة العددية. وربما يكون لعوامل تاريخية مثل اشتراكها مع بقية القبائل في الإرث باعتبارهم جميعهم ينتهجون البداوة والحياة الرعوية بكل مناقبها، مثل التكافل والمرؤة والشجاعة، وحتى مثالبها، المشروعة في عرفهم، مثل النهب والإغارة كأسلوب للحياة. هذا النوع من نظم الحكم الذي يعترف بقيادة نخبة حاكمة (ruling cast) توجد منه نماذج في مجتمعات رعوية في شرق إفريقيا مثل الصومال وفي شمال إفريقيا عند الطوارق.

فيما يتعلق بملوك البليميين لاحظ بعض العلماء أن الشكل االمرسوم في الوثيقة الأولمن وثائق الجبلين هكذا (ـــ O) باعتباره ختم الملك،يشبه لحد كبير أشكال هندسية يشاهدها المرء مع رسومات الصخور في الصحراء الشرقية 63. هذه العلامة فسرها الأستاذ كوبر بأنها « رمز قبلي «.وقال: في وثيقة الملك خراخان يرمز هذا الشكل لقبيلة البليميين تحديداً.وأشار إلى أن هذا الشكل(ـــ O)ينتشر في كثير من مواقع رسومات الصخور في الصحراء الشرقية القريبة من وادي النيل وفي مواقع داخلية كذلك ويكون مصاحباً له تصاوير لجمال وعلامات أخرى وهو أينما وجد يعني وجود نفوذ بلمي (انظر الخريطة 2).

الملكالبلمي المنحدر من قبيلة أرستقراطية اتخذ أحياناً لقب باسيلوس (كما في

رسالة فونين) وأحياناً أخرى لقب باسليسكوس. وقد دارجدل كبير في الأدبيات بخصوص استخدام اللقبين عند البليميين والنوباديين، كانت خلاصته أن زعماء القبيلتين كانوا يتجنبون استخدام « باسيلوس « لأنه اللقب الخاص بالإمبراطور. في مختلف ولايات الإمبراطورية الرومانية كان الملوك التابعين للإمبراطورية وزعماء القبائل المتحالفة معها بموجب اتفاقيات كانوا يتخذون لقب « باسليسكوس»الذي يعني في اللغة الإغريقية الصحيحة ملك ثانوي. تفسيرنا لتسمية فونين نفسه باسيلوس سببه واحد من أمرين؛ إما لجهل من الكاتب وهذا هو التفسير الأرجح، أو أن فونين في ذلك الوقت قد أعلن تحرره من الاتفاقيات السابقة مع الإمبراطورية وهو جائز في ظل ما ذكرناه من سياسات الإمبراطور مارسيانالذي ربما تسبب في استفزاز القبائل عندما قرر وقف الإعانات.

كان لملك البليميين حقوق على رعاياه أهمها الولاء والطاعة والإخلاص. بالمقابل عليه واجبات و مسئوليات تجاه كل القبائل التي ارتضت قيادته ؛ فهو مسئول مسئولية مباشرة عن تأمين المرعى لحيواناتها ولو اقتضى ذلك الذهاب للحرب. وهو مسئول كذلك عن الحماية الشخصية لرعاياه؛ لقد شاهدنا في رسالة فونين اصرار الملك البلمي على معاقبة الجناة من رجال سيلكو الذين قتلوا آييني المحسوب على فونين. من ذات الرسالة نفهم أن الملك وحده هو الذي بيده إعلان الحرب. وإذا وقعت الحرب يقودها الملك بنفسه.

الملك البلمي (ومثله نظيره النوبادي) كان يخضع للسيادة الرومانية البيزنطية التي قيدته باتفاقيات تجعل من ضمن شروطها الولاء للإمبراطور.هذه الاتفاقيات تُعرف عند الرومان بنظام الfoederateوهيمطبقة مع كثير من رؤساء القبائل في أطراف الإمبراطورية مثل أرمينيا أو شمال إفريقياأو بلاد الشام. بموجب هذا النظام تقدم الإمبراطورية لرؤساء القبائل أرض ومعينات مالية سنوية راتبة ، وربما أيضا منحتهم شارات المُلك بغرض أن يكون لها دور في اختيارهم. ويعتقد الأستاذ كيروان إن القرص المجنح في صورة الملك سيلكو في معبد كلابشه قُصد منه تجسيد السيادة الرومانية على مملكة سيلكو64 ونحن نتفق معه في هذا االرأي . بالمقابل تلتزم القبائل بعدم مهاجمة حدود الإمبراطورية،بل تلتزم أيضاً بحماية الحدود من هجمات القبائل الأخرى. وربما طُلب منها أحياناً إرسال مقاتلين من رجالها يقودهم جنرالات محليون للمساعدة في حروبات الإمبراطورية. تاريخياً، تثبت السجلات البيزنطية إن الإمبراطور

جستين (-518 526 م) كان ينوي إرسال مقاتلين من البليميين والنوباديين لمساعدة ملك أكسوم علا أشيبا (أو كالب في المصادر الأكسومية) المسيحي في حربه ضد ذو نواس اليهودي، ملك حمير الذي ارتكب مجازر بحق المسيحيين في ظفار ونجران65.

برأينا إن أول اتفاقية بين ملك بليمي وبين الرومان كانت في عهد دايوكليشيان وهي التي أشار إليها بروكوبيوس.وشملت الاتفاقية ملك النوباديين كذلك.وقد أسست على النظام نفسه، نظام ال foederate. وقدأثبتت الأيام نجاحها، حيث حققت مراميها وهي سلامة الحدود، فلم تحدث تعديات على جنوب مصر طيلة الفترة بين عهد دايوكليشيان وعهد مارسيان. وفي عهد هذا الأخير (450-457 م) حدث الهجوم المشترك البليمي النوبادي على المواقع الرومانية في جنوب مصر.

لكن بما أن بروكوبيوس ذكرأن الاتفاقية كانت سارية حتى عهد جستنيان، فهذا يعني أن توقفها في سنة 452م كان مؤقتاً وتم معاودة العمل بها من بعد ذلك. دليل آخرلعودة الاتفاقية ما أشارت إليه بعض الوثائق البيزنطية من أن الإمبراطور جستن الأول (-518 526م) سلف جستنيان كان، كما أسلفنا الذكر، قد فكر في استخدام جنود مقاتلين من البليميين والنوباديين لمساعدة ملك أكسوم (كالب) في حربه ضد ملك حمير اليهودي ذو نواس. مثل هذا القرار لا يصدر إلا في وجود اتفاقية مسبقة مع القبيلتين.

هذا عن السيادة الرومانية على البليميين، هل كانت لمروي سيادة على مملكة البليميين؟

هناك على الأقل مصدر إغريقي واحد، رواية إراتوثينس، زعم أن ألبليميين والميقاباروي يخضعون لمروي. ربما يصدق هذا الزعم على البليميين النيليين في مراحل مبكرة من تاريخ النوبة السفلى، لكن حقيقة لا يوجد دليل حاسم على سيطرة مروي على البليميين بعد وصول الرومان لحكم مصر واحتلال إقليم دودي كاسخينوس. من ناحية الآثارلم تكشف التنقيبات في الصحراء الشرقية حتى اللحظة (بحسب مانزو وآدامز) عن أي أثر للوجود الكوشي المروي في منطقة البطانة الشرقية والمنطقة غرب نهر عطبرة [66].

فيما يتعلق بالإدارة، اعتمد البليميون النيليون في التدوين على كتبة من خارج القبيلة، ربما من الجنسية المصرية واستخدموا اللغتين الإغريقية والقبطية. لكن مستوى الإغريقية كان متدنياً لحد بعيد ؛ وهي في رأي بعض الخبراء، أسوأ في المستوى من الإغريقية الدارجة المعروفة ب pidgin Greek.المدينة الإدارية الأولى هي قصر إبريم،

التـي كانـت أيضـاً أهـم مدينـة تجاريـة وفيهـا يقيـم كبـار المسـئولين. اتخـذ هـؤلاء الأخيريـن، مضطريـــن، ألقابـــاً بيزنطيـــة مثـــل فيلاركـــوس ومعنـــاه الرجـــل الأول في قبيلتـــه، أي شـــيخ القبيلـة. اتخـذوا كذلـك لقـب هيبوتايرانـوس وهـو مقتبـس مـن نظـام الإدارة البيزنطيـة في مـصر. الأسـتاذ Rea في ترجمتـه لرسـالة فونـين اسـتخدم لترجمـة هيبوتايرانـوس لفظـة أمـير(prince). الفيلاركوسـيلي شـيخ القبيلـة مبـاشرة في التراتيبيـة الإداريـة، وهويرتقـي لمنصـب الملـك بعـد وفاتـه. وعليـه يمكـن وصفـه ب « ولي العهـد «. المصـادر تذكـر أيضـاً الكهنـة كمسـئولين إداريـين. يتـولى هـؤلاء الموظفـون إدارة أمـلاك ملـك البليميـين في المواقـع النيليـة والمواقـع الأخـرى المنتـشرة في الصحـراء الشرقيـة. أمـا الملـك نفسـه، كـما أسـلفنا الذكـر، فهـو يقيـم في الصحـراء الشرقيـة في موقـع غـير بعيـد مـن ممتلكانـه النيليـة.

مصادر دخل مملكة البليميين:

نستشـف مـن مصادرنـا أن مملكـة البليميـين كانـت تحصـل عـلى احتياجاتهـا مـن المـوارد للـصرف عـلى مؤسسـاتها الإداريـة، عـبر الوسـائل التقليديـة المعروفـة في الممالـك القديمـة ، إضافـة لوسـائل أخـرى. وهكـذا ربمـا شـكللت الضرائـب والرسـوم والإتـاوات المورد الأول المهـم. الضرائـب تفـرض عـلى الرعايـا المنتجـين مـن مزارعـين وحرفيـين ومـربي الماشـية، والرسـوم والإتـاوات عـلى القوافـل التجاريـة العابـرة وعـلى تجـارة الموانـئ. ومعظـم مدخـلات هـذا المـورد يكـون في شـكل مـواد عينيـة (محاصيـل زراعيـة، بضائع،حيوانـات حيـة إلـخ).

وضـع البليميـين كحليـف للرومـان ضمـن لهـم مـورد ثابـت مـن المـال يصلهـم سـنوياً يمكـن وصفـه بالإعانـات الإمبراطوريـة. وهـذه كانـت تعطـى في شـكل أوزان أو سـبائك مـن الذهـب أو الفضـة. في حالـة البليميـين والنوباديـين نرجـح الفضـة، حيـث جـاءت التننقيبـات بكثـير مـن مقتنيـات القبـور مصنوعـة مـن الفضـة. وجـاء ذكـر الفضـة في رسـالة فونـين لأبـورني.

مـن الوسـائل غـير التقليديـة للحصـول عـلى مـوارد وسـيلة الإغـارة عـلى السـكان وعـلى الأديـرة، والقيـام بعمليـات نهـب وسـلب وأسر الرجـال والنسـاء. وتحدثنـا المصـادر أن الأسرى يتـم تخليصهـم مـن الأسر بعـد أن تدفـع لهـم ديـات مـن قبـل السـلطات أو الكنائـس أو الأديـرة. هـذه الوسـيلة لجنـي المـال ربمـا اسـتهجنها الكثـيرون لكنهـا ربمـا بـدت في عُـرف قبيلـة البليميـين أمـراً عاديـاً يصنـف في خانـة إرث القبيلـة.

هل استغل البليميون ذهب الصحراء الشرقية؟

الإجابـة عـلى هـذا السـؤال هـو أننـا لم نعـثر في أي مـن المصـادر نصيـة أو آثاريـة عـلى مـؤشرات بـأن البليميـين اسـتغلوا الذهـب الـذي اشـتهرت بـه بلادهـم.، ربمـا لصعوبـة

استخراجه وخطورة العمل في مناجمه. لكن هناك مصادر أشارت للزمرد حيث ذكر أبيفانيوس القيصري أنهم يسيطرون على جبل فيه مناجم الزمرد يقع في وسط المسافة بين برنيك ومنطقة طيبة. وثائق الجبلين تبين ممارسة البليميين تجارة الرقيق، التي شملت الجنسين.

ثالثاً بجا الميقاباروي :

جاء ذكر الميقابارويفي عدة روايات كلاسيكية أقدمها رواية إراتوسثينس من القرن الثالث ق.م. (أعلاه ص13) ثم رواية سترابو (أعلاه 15).

ما يمكن استنتاجه من الروايتين أن موطن الميقاباروي يتداخل لحد كبير مع البليميين، فهم الأكثر قرباً للبلاد المصرية الجنوبية و كذلك لمروي، بل هم، مثل البليميين يخضعون لمروي.وهم،كما البليميينأيضاً، استقروا في مدن مصرية جنوبية وتصاهروا مع المصريين. وقد جاءت الإشارة إليهم في برديات مصرية تحت المسمى» مخبر». والدليل على اندماجهم في الحياة المصرية ما جاء في البردية بالديموطيقي (Hauswaldt 15) من عهد بطليموس الرابع التي توثق لزواج شخص اسمه بابوس وصف بأنه « مخبر ولد بمصر». وقد ذكرت الوثيقة اسم والد بابوس حرموسي الذي نتوقع أن يكون بليمي الهوية. لكن في وثيقة مختلفة (Hauswaldt 6) نجد توثيقاً لزواج رجل اسمه حرموسي (هو بلا شك نفس الرجل المذكور في الوثيقة السابقة) من امرأة مصرية وصف فيها الزوج حرموسي بأنه « بليمي ولد في مصر». هذا يشير إلى أن المصريين ما كانوا يفرقون بين الإثنيتين البليمية والميقابارية. وربما بفعل التصاهر ذابت الفوارق الإثنية بينهما.

ما علاقة مخبرفي المصادر المصرية الديموطيقية بالميقاباروي في المصادر الإغريقية؟

خلص الكاتب مولر Moller وزميله شبيقلبيرج بعد التحري الدقيق، خلصا بمساواة مخبر المصرية بميقاباروي الإغريقية التي جاءت في روايتي إراتوسثينس و سترابو [67].

رابعا بجا التروقوديت:

المؤرخ إراتوسثينس حدد وطن بجا التروقلوديت [68] في سواحل البحر الأحمر وقال إن هناك مسافة مسيرة 10 إلى 12 يوماً بينهم وبين مروي الواقعة على ضفة النيل الشرقية. لكن سترابو الذي كتب في أواخير القرن الأخير ق.م. لم يميز موطنهم عن بقية القبائل الأربع التي ذكرها واكتفى بقوله جنوب أسوان. وربما كان في ذلك إشارة لنزوح جماعات منهم من ساحل البحر للنيل منذ نهايات الفترة البطلمية ومن ثم اختلاطهم بالبليميين وبقية القبائل المنتشرة جنوب أسوان.

أما التروقوديت الذين ظلوا على الساحل، فقد جاء وصفهم بتفاصيل دقيقة في رواية مطولة للمؤرخ سترابو لكنه ذكرهم تحت مسميات جديدة بحسب عاداتهم الغذائية ؛ مثل « أكلة الجذور، أكلة البذور، أكلة اللحوم، أكلة الأفيال إلخ «. ويبدو أن سترابو كان يملك معلومات محددة عن قبيلة التروقوديت فحدثنا عنها بكثير من التفاصيل. من ذلك قوله إن لهم حكاماً يتولونهم، وعندهم عادة شيوع الزوجة، لكن يستثنى من ذلك الحكام فلا يشاركهم في زوجاتهم أحد. ووضح أنه من يغوي زوجة الحاكم يعاقب بدفع غرامة.ووصف سترابو نسائهن وزينتهن قائلاً بأنهن يطلين جفونهن بلون أسود ويلبسن قلائد من صدف على سبيل التمائم. وقال إن رجال التروقوديت يقتتلون بسبب المرعى ولا ينتهى القتال إلا بدخول النساء والتوسل للرجال. كذلك وصف غذاءهم وشرابهم وثيابهم وأسلحتهم. وقال عندهم عادة الختان على الطريقة المصرية. كما وصف عادة دفنهم جثث موتاهم، ثم تحدث عن سفرهم، فقال إذا سافروا يسافرون ليلاً و بصحبتهم أجراس يثبتونها على حيوانات الركوب الغرض منها تخويف الحيوانات المتوحشة [69].

من الكتاب الكلاسيكيين الذين وصفوا عادات قبيلة التروقوديت الكاتب الروماني بليني الذي وصف بإسهاب كيفية صيد الأفيال بواسطة رجالهم. فقال إن الترقوديت يعيشون على صيد الفيل، وربما قصد بذلك أنهم يعتمدون على الفيل في غذائهم (أكلة الأفيال عند سترابو). وكذلك في الاستفادة من نابه كسلعة تجارية يرغب فيها الأجانب بشكل خاص. قال بليني إنهم يصطادون الأفيال من علو الأشجار فينزل الصياد على الفيل البطئ الحركة الذي يكون في آخر القطيع ويقبض عليه بشكل محكم ويقوم ببتر عرقوبه ليعيقه عن الحركة. فينتج عن هذه الطريقة في الصيد أفيال عرجاء أوأخرى عاجزة عن الحركة تماماً [70].

من ناحية المصادر الرسمية، تذكر السجلات البطلمية أن بطليموس الثاني فيلادلفيوس (285 - 246 ق.م.) كان له اهتمام خاص بالحصول على أفيال إفريقية لاستخدامها في الحرب بعد ما سمع بنجاح حرب الأفيال في الهند وعند السليوقيين في سوريا. ويقال أنه بذل جهوداً كبيرة لترويض الأفيال الإفريقية من البجا لكنه فشل وتخلى عن المشروع نهائياً. وربما كان من أسباب فشله عدم تفاعل البجا سكان المنطقة الساحلية مع مشروعه وعدم رغبتهم المستمرة في التعامل مع الغرباء. وعن هذه الخصلة حدثنا مؤلف البربليس The Periplus of the Erytherean Sea أو الملاح المجهول الذي يعتبر رائداً في التعريف بالبحر الأحمر وتجارته و موانيه. أشار الملاح المجهول لجماعة من سكان الساحل أطلق عليهم مسمى « أكلة السمك « وصفهم

بالبدائية والانطواء وقال إنهم يعيشون في كهوف بين الصخور، وإنهم ينفرون من كل الأجانب الذين يهبطون على الساحل بقصد التجارة [71]. برأينا أن مسمى « أكلة السمك « يشير للبجا التروقوديت على وجه التحديد، وذلك استناداً على رواية إراتوسثينس التي تبين أن المسافة بينهم وبين مروي تبلغ مسيرة 10 إلى 12 يوماً.فيما يتعلق بفشل مشروع الملك البطلمي بالتأكيد هناك أسباب أخرى منطقية أدت لفشل سياسة استخدام الأفيال الإفريقية في الحرب من بينها صعوبة ترحيلها إلى مصر. ومن بينها كذلك أنها لم تثبت كفاءة عالية تستحق عناء جلبها وتأليفها وتدريبها.

ذات المصادرتنسب لبطليموس الثاني اهتمامه بتجارة البحر الأحمر فتذكر أنه أنشأ على ساحله في أرض البجا مرفأ برنيس (أو برنيك) ومرفأ بطليموس ثيرون بهدف إنعاش تجارة العاج والصمغ ودروع السلاحف والتوابل والأحجار الكريمة. فبينما اتفق المؤرخون أن مرفأ برنيس كان على السويس في الساحل المصري، نجدهم اختلفوا اختلافاً كبيراً حول موقع بطليموس ثيرون. لكن تم حسم الجدل بعد أن قام العالم كروفوت برحلتين متتاليتين للمنطقة في مطلع القرن الماضي مصطحباً معاه كتابي سترابو وبطليموس وكتاب الملاح المجهول، وخلص بحثه إلى أن المكان المناسب لموقع بطليموس ثيرون هو موقع عقيق الحالية [72].(خريطة 1).

من العهد التالي بطليموس الثالث (246 - 221 ق.م.) نقرأ في نقش عدولية مقولة تنسب للملك. يقول فيها إنه خرج مع والده لحرب الآسيويين مستخدمين أفيالاً جلبوها من بلاد التروقوديت و بلاد الإثيوبيين73. من ناحية أخرى هنالك العديد من الروايات تتحدث عن مؤسسات بطلمية حكومية تعمل في صيد الأفيال و تذكر أسماء موظفين أرسلوا لساحل البحر الأحمرالإفريقي لإقامة محطات لتصدير الأفيال. من أشهر هذه المحطات بطليموس ثيرون التي أشرنا إليها في الفقرة السابقة. يعمل في هذه المحطات موظفون مصريون، يقومون بتحميل الأفيال في سفن ونقلها لمصر حيث يتم ترويضها.

و هكذا تؤكد هذه المصادر وصول البطالمة لأرض البجا االتروقوديت لكنها لا تحدثنا عن أي أثر ثقافي أو غيره ترتب على وصول الأجانب لهذه المنطقة.

الإحالات المرجعية

(Endnotes)

1. منتصر إبراهيم. السودان باكراً وما قبل التاريخ. نسخة مترجمة من النسخة الإنجليزية : Sudan Early and Pre-history . Sudan is the origin of Humanity. Sudapedia.2018.
2. Masojc. M. & Ahmed Nasr. EDAR. East Desert Sudan. When the Sahara was Green Polish Archaeological Research on the Prehistory of North Africa. 2019. 5962-.
3. Masojc. M. et al. Saharan Green Corridors and Middle Pleistocene. Hominin Dispersal across the Eastern Desert. Sudan.Journal of Human Evolution . vol. 130. 2019. p.141150-.
4. Kirwan. L.P. Studies in the Later History of Nubia .Liverpool Annals of Archaeology and Anthropology vol. 24. 1937. p. 67105-. P. 70. See also Plumley :
5. Plumley.J.M. An Eighth Century Arabic Letter to the King of Nubia. Journal of Egyptian Archaeology.. 61. 1975. 241245-.
6. Rilly. C.Language and Ethnicity in Ancient Sudan. in ed. Anderson J.R. and D. A.Welsby .The Fourth Cataract and Beyond. Proceedings of the 12th International Conference for Nubian Studies.The British Museum. London.2014. 1169- 1188. p. 1175.
7. Bechhaus-Gerst.M.Beja Identity in Tu -Bedawie. In ed. G. Takacs. Egyptian and Semito - Hamitic(Afro-Asiatic) Studies in Memorium of W. Vycichl. Leiden. 2004. 195- 204. p.196.
8. Michaux-Colombot.D.Pitfall Concepts in the Round of ‘ Nubia’ Ta-Sety, Nehesy, Medja, Maga and Punt Revisited . In ed. Anderson. J.R. and. D. A. Welsby. The Fourth Cataract and Beyond. Proceedings of the 12th international Conference for Nubian Studies. The British Museum. London. 2014. 507522-. p. 516

9. Christide. V. Ethnic Movements in Southern Egypt and Northern Sudan: Blemmyes-Bega in Late Antique and Early Arab Egypt. Listy Fololologicke/ Folia philoligica/. 1980. Roc. 103. 129143-. p.129130-

10. التسميات (بلهمة، قرولة، هرتلة إلخ) ذات الجرس الذي يوحي بمعناها، توجد منها أمثلة أخرى لعل أشهرها الإغريقية **βαρβρος** التي تعني، بالنسبة للمتحدثين بالإغريقية، لغة غير مفهومة. ومن باربروس اشتقت لفظة برابرة وهو الاسم االذي أطلقه المصريون الحديثون على المصريين والسودانيين المتحدثين بلهجات نوبية مثل الكنزية والحلفاوية والمحسية والدنقلاوية. وما زالت لفظة برابرة سائدة في مصر والسودان.

11. مصطفى محمد مسعد. بعض مظاهر العلاقات بين الجزيرة العربية وأوطان البجة بشرق السودان قبل الإسلام. منشور في: الجزيرة العربية قبل الإسلام. الكتاب الثاني. الرياض. 1984. إشراف عبد الرحمن الطيب الأنصاري.391 - 400. ص 391. مصطفى محمد مسعد. المرجع السابق. ص. 394.

12. Paul. A. 1954. A History of the Beja Tribes of the Sudan. Cambridge.1954. p. 20. الآن لم يعد المصطلح حامي مستخدماً وسط العلماء. يبدو أنه تمت الاستعاضة عنه بالعرق الرابع وهو العرق البني أو عرق البحر المتوسط. لكن اللفظ حامي والعرق الحامي في الأساس اختراع أوروبي ظهرا في القرن التاسع عشر قصد بالعرق الحامي أن يكون هو والعرق السامي تصنيفين فرعيين للعرق القوقازي. وقد نسبوا للعرقين الحامي والسامي جلب الحضارة والتقنيات المختلفة لشعوب جنوب غرب آسيا (الساميون) وللشعوب الإفريقية (الحاميون). من المفارقات أن النظرية الحامية الأوربية ترفض نسبة العرق الحامي لحام ابن كوش ابن نوح الذي يعتبر في التقاليد التوراتية أب العرق الزنجي.

13. Smith. G. E. The Ancient Egyptians and the Origin of Civilization. London & New York. 1911. P. 69.

14. محمد صالح ضرا ر. تاريخ شرق السودان. ممالك البجة قبائلها و تاريخها. الجزء الأول. القاهرة. 1992. ص. 36. & 38.

15. كريستيد، مرجع سابق، ص 130.

16. .Michaux-Colombot. 2014. op.cit. p. 516
17. سامية بشير دفع الله. تاريخ الحضارات السودانية القديمة. ط2. الخرطوم.. 2011ص 128.
18. توجد قائمة في مقال الكاتبة ليزسكا تحتوي على المصادر الأساسية التي ذكرت المدجاي، أو موطنهم أو ألقاب ارتبطت بهم منذ ظهور الاسم وحتى نهاية فترة الاضمحلال الثانية. أنظر Liszka: Liszka. K. We have come from the well of Ibhet : Ethnogenesis of the Medjay. Journal of Egyptian History. 4.2011 .p 151-154.
19. أشارت الكاتبة مشو- كولومبو، المرجع السابق، 509، إلى منظر غير منشور منحوت في مقصورة قبر لنبيل مصري اسمه شيماي بموقع كوم الكفار في جنوب مصر. كان شيماي حاكماً لمحافظة قفط. يصور المنظر في مساحة تقدر ب ثلاث أمتار، عدد سبعة عشرة من رجال المدجاي يضعون ريشاً على رؤوسهم. المنظر لا يقطع بأنهم مقاتلون لكنه يشي بأنهم مرتبطون في وظيفة ما مع هذا النبيل ربما كانت عسكرية أو غيرها.
20. Smither. P.CThe Semnah Dispatches. Journal of Egyptian Archaeology. 31. 1945. p. 310-.
21. Liszka. K. 2011. op. cit. p. 157.
22. Michaux-Colombot. 2014. op. cit. p. 513.
23. 23 . انظر سامية بشير دفع الله. تاريخ مملكة كوش: نبتا و مروي. ط2. مطبعة جامعة الخرطوم. 2021*، ص 111، 117، 123
24. Beitak. M. The C-Group and Pan-Grave Culture in Nubia. Sixth International Conference for Nubian Studies. Uppsala. 1986. Pre-Publication of Main Papers. In ed. Hagg. T. Nubian Cultures Past and Present. Bergen. 1987. 113128-. p. 123.- 124.
25. Rilly. C.Language and Ethnicity in Ancient Sudan.2014. op.cit. p. 1169.
26. 26 . Updegraph. R. T. The Blemmyes I: The Rise of the Bemmyes and the Roman Withdrawal from Nubia under Diocletian. AUFSTIEG UND NIEDERGANG DER ROMISCHEN WELT (ANRW). Berlin

and New York. 1988. 44- 106. p. 55.

27. Macadam M. Fl.Temples of Kawa. vol. I. Oxford. 1949. pl. 16. & Line 16.
28. Dafa'alla.S.B. Political and Social Developments in Northern Nubia During the Post- Meroitic Period. Unpublished Ph.D. Dissertation. Cambridge University. 1980. P. 5455-.
29. عـن الروايـة و ترجمتهـا انظـر: سـامية بشـير دفـع اللـه. السـودان في كتـب الإغريـق والرومـان. مطبعـة جامعـة الخرطـوم. 2021. الموضـوع # 14. ص 60.
30. Eide et al. FONTES HISTORIAE NUBIORUM here after: (FHN). vol. ii. Bergen. 1996. p. 657- 659.No.146.
31. Castiglioni et al. The Gold Mines of the Nubian Desert during Meroitic Times: the latest Finds from Berenice Panchrysos. The 8th International Conference for Nubian Studies. Lile. 1994. 17-. See also the article by the same author. Castiglioni et al. The Ancient Gold Routes from Buhen to Berenice Panchrysos. Meroitica 15. 1999. 501-510. p. 503.
32. Porter and Moss. Topographical Bibliography of Ancient Hieroglyphic Texts , reliefs and Paintings vol. vii. 2nd ed. Oxford. 1951. p. 20.
33. Strabo. Geography. 17. 1. 5354-. See it also in : Eide et al. FHN.vol. III.(No. 190). p.828832-.
34. Eide et al. 1998. op. cit. p. 1065. No. 284.
35. Magie. D. Scriptores Historiae Augustae. London. 1967- 1968.(life of Probos.Probos 1). **See also:** سـامية بشـير دفـع اللـه، السـودان في كتـب الإغريـق والرومـان. 2021. مطبعـة جامعـة الخرطـوم. الموضـوع # 47. ص 172.
36. 36 . Procopius. History of the Wars. (5 volumes) ed. and trans H.B. Dewing. 1914.vol. 1. The Persian War. p 184- 189.
37. Millet. N.B. Meroitic Nubia. Ph.D. Dissertation. Yale University. Microfilm Copy. Michigan. 1969
38. Millet. op. cit. p. 5556-

39. Haycock. B.G. Philology and the use of written sources in reconstructing early Sudanese history. in ed. Abdalla. M. Studies in Ancient Languages of the Sudan. Khartoum. 1974. p. 6970-.

40. تناولت الكاتبة هذه الفرضية بكثير من التفاصيل والنقاش في الباب الرابع من أطروحة الدكتوراه التي قدمتها لجامعة كمبردج: Dafa'alla. S.B. Political and Social Developments in Northern Nubia during the Post-Meroitic Period.Cambridge University. 1980. p. 55-86.

41. Griffith. F.l . Catalougeof the Demotic Graffiti of the Dodecaschoenus. Oxford.1937. p.104105-.

42. Griffith. F. L. Meroitic Inscriptions II. London.1912. pp.2732-. See also Millet: The Kharamadoya Inscription . Meroitic News Letter. 13. 1973. p. 3149-.

43. للمزيد عن رواية القس إبيفانيوس انظر كتابي: السودان في كتب الإغريق والرومان. 2021. الموضوع رقم 50. ص 179. انظر عنه كذلك :Eide No. 305 et al. 1998. op. cit. p. 1115- 1121.، حيث أبرزوا نسخ للرواية بأكثر من لغة من بينها اللاتينية والقبطية والجورجية. جدير بالذكر إن محرري مجموعة FHNقد اقترحوا توقيت سيطرة البليميين على كلابشة لأواخيرعهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (378- 395 م) مفسرين الخطوة ردة فعل لإصداره المرسوم االذي قضى بإبطال كل مظاهر الوثنية في كل ولايات الإمبراطورية.

44. Eide et al. 1998. op. cit. p. 1079 - 1081.No. 293.

45. انظر سامية بشير دفع الله. 2021، مرجع سابق ص.176-177. موضوع # 49. انظر كذلك تحليل ل. توروك في: Eide et al.FHN. vol. iii. 1998. p. 1086-1087.

46. Eide et al.FHN. vol. iii. 1998. p. 1126 and ff.No. 309

47. رسالة فونين هي واحدة من أربع برديات عثر عليها في حزمة واحدة اكتشفت في قصر إبريم في السبعينات من القرن الماضي. مكتوبة بإغريقية متدنية المستوى. الثلاث الأخريات يتعلقن بموضوعات أخرى مكتوبة بالقبطية. عن رسالة فونين انظر : Eide et al. 1998. op.cit. p. 1158-1159 (No. 319).

See also: Skeat. T. C . A Letter from the King of the Blemmyes to the King of the Noubades. Journal of Egyptian Archaeology.63. 1977. 159- 170. See also: Rea. J. The Letter of Phonen to Abourni . Zeitschrift .162-fur Papyrologie und Epigraphic. 34. 1979.147

48. Eide et al. FHN.III. 1998. op.cit. No. 313.p. 1134
49. Eide et al. FHN.III. 1998. op.cit. p. 1138- 1141.No. 314.
50. Eide et al. FHN.III. 1998. op. cit. p. 1153- 1156. No. 318..
51. Eide et al. op.cit. p. 1157.
52. Eide.et al. op.cit. pp. 1147- 1151. No. 317 الترجمة العربية من عمل الكاتبة التي تعتقد أن الترجمة التي قدمها إميري في تقرير تنقيبات قسطل و بلانة والمتعلقة بالسطر الأخير والتي تجري « النوباديين الآخرين الموجودين في الجنوب»، تبدو أفضل وتعطى المعنى الأقرب للواقع خاصة عندما تقرأ مع نقش الملك عيزانا. أنظر: The Royal Tombs at Qustul and Ballana. Cairo.1938, p.15Emery.W.B.& Kirwan.L.P.

53. المعنـى الصحيـح في الإغريقيـة للقـب باسيليسـكوس βασιλιςoκoσ هـو ملـك صغـير Eng (Kinglet.(لكـن المتمعـن لاسـتخدامه في نقـش سـيلكو سـيقتنع أن السـياق يقتـضي العكـس، وهـو « ملـك الملـوك « أو الملـك الأعظـم. هـذا الأخـير مقابلـه الإغريقـي «باسـيلوس «. ومـا يؤكـد أن سـيلكو قصـد أن يقـول إنـه ملـك الملـوك وصفـه للملـوك الآخريـن بلقـب باسـيلوس وأنـه لا يتبعهـم بـل يكـون في مقدمتهـم.

54. John of Epgesus. Ecclesiastical History. vol. iv.Trans. Payne-Smith.R. 1860. London.
55. . Eide et al. 1998. op.cit. p. 1108- 1109.No. 301.
56. Eide et al. 1998. FHN. III. Nos. 331334-.p. 1196 and ff.
57. Emery.W.B. Nubian Treasure. London. 1948. p. 31.
58. For the works of Krall and Wessely see Bibliography FHN.op.cit. p. 1197.
59. Mills. A.J. The Cemeteries of Qasr Ibrim. London. 1982.

60. Mills.op.cit.. p 1020-18 & 13-.
61. Cooper.J. A Nomadic state? The Blemmyean-Beja Polity of the Ancient Eastern Desert.The Journal of African History. vol. 61. No. 3. 2020. p. 393.
62. .Manzo. A. The Eastern Desert in the ist millennium BCE and ist millennium C.E. The Oxford Handbook of Ancient Nubia. ed. G. Emberling and B. Williams. Oxford. 2020. p. 671- 696, see especially pp.680688- and final remarks pp. 688 ff.
63. Cooper. 2020. op.cit p. 393394-.
64. Kirwan.L.P. The X-Group Problem. Meroitica 6. 1982. 191124-. p.199.See also: Dafa'alla. S.B. Some Aspects of the History of the Dodekaschoinos during the X-Group Period. Nubian Letters. Vol. 14. Feb. 1990. p.112-. p.68-.
65. Eide et al. 1998. FHN. III. No327.p.1185.
66. . Adams. W.Y. Kush and the People of East Africa. Meroitica. 5, 1979.p. 9.التنقيبات التي جرت في العقود الأخيرة حتى عام 2020 لم تكشف عن أدلة تغير من مقولة أدامز في عام 1979. انظر مانزو، مرجع سابق 2020. ص 692.
67. .Môller. G. Mhbr = **ΜεΓαβαρος** .Zeitschrift fur agyptische Sprache und Altertumskunde. 55. 1918. p. 7981-. p.79.
68. بحسب عالم الكلاسيكيات وارمينغتون الاسم الصحيح للقبيلة هو تروقوديت وليس تروقلوديت. يقول اللفظ الأخير موجود فعلاً عند الإغريق والرومان بمعنى ساكني الكهوف، وكانوا يستخدمونه لوصف جماعات بدائية تسكن الكهوف في أماكن مختلفة من العالم ليس من بينها إفريقيا. لكن يتفق العلماء اليوم إن الاسم الهيللينستي الصحيح لجماعات بدائية في إفريقيا هو تروقوديت بدون اللام، كما أطلقوا على بلاد هذه الجماعات مسمى « تروقوديتيكا «. ويضيف وارمينغتون إن إضافة اللام للاسم في كتابات الكلاسيكيين عمل خاطئ يعود سببه ربما للتعديل الخاطئ لاسم صحيح لآخر متواتر

وشـائع. انظـر وارمينغتـون: Warmington.G.W. Some Ancient Records of Kordofan. Sudan Notes and Records. 28.1947. p. 24.

69. Strabo. Geography. 16.4.8-13, 17. لترجمـة عربيـة للروايـة انظـر: سـامية بشـير، 2021، مرجـع سـابق، موضـوع # 26. ص 109-115. أنظـر كذلـك: Eide et al. 1998. FHN. III. No. 189. p. 820 and ff.

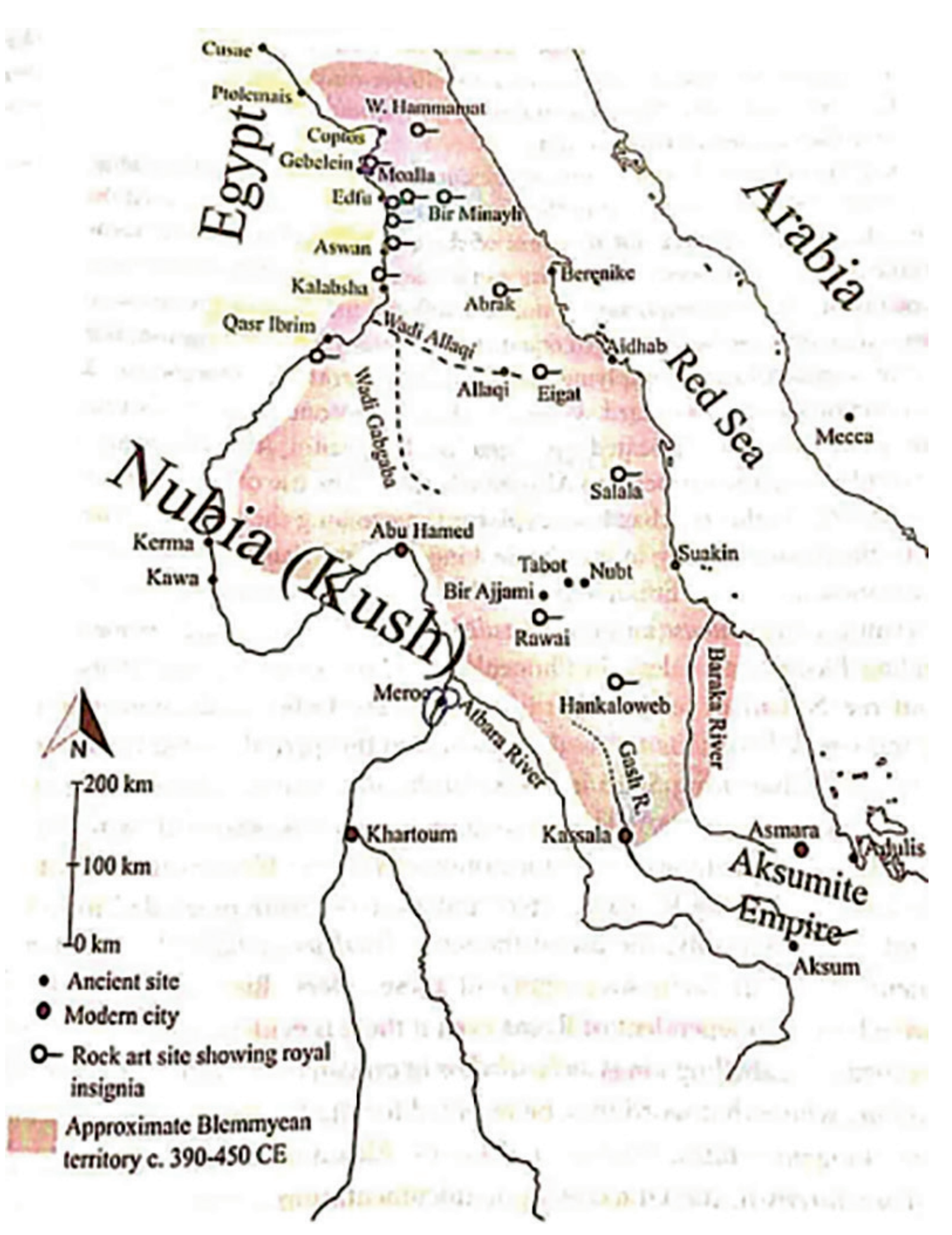
70. Pliny. Natural History. 7. 27. لترجمـة عربيـة انظـر: سـامية بشـير، 2021، المرجـع السـابق، موضـوع # 36. ص 146-147. وجـود الفيـل في بـلاد التروقوديـت أشـار إليـه كل مـن سـترابو وبلينـي الذيـن وصفـا كيفيـة صيـد الأفيـال بواسـطة رجـال التروقوديـت. مـن ناحيـة أخـرى ذكـر الكاتـب كروفـوت الـذي زار المنطقـة في شـتاء عـام 1907 م وهـو موسـم نـزول الأمطـار، ذكـر أنـه شـاهد زوج خنازيـر وحشـية وغـزلان ترعـى وسـط أعشـاب السـافنا التـي كانـت منتـشرة في المنطقـة. أنظـر: Crawfoot. J.G. Some Red Sea Ports in the Anglo- Egyptian Sudan. Geographical Journal. 37.5. 1911. p.530

71. مذكور في : صلاح الدين الشامي. الموانئ السودانية. القاهرة. 1961. ص 2627.

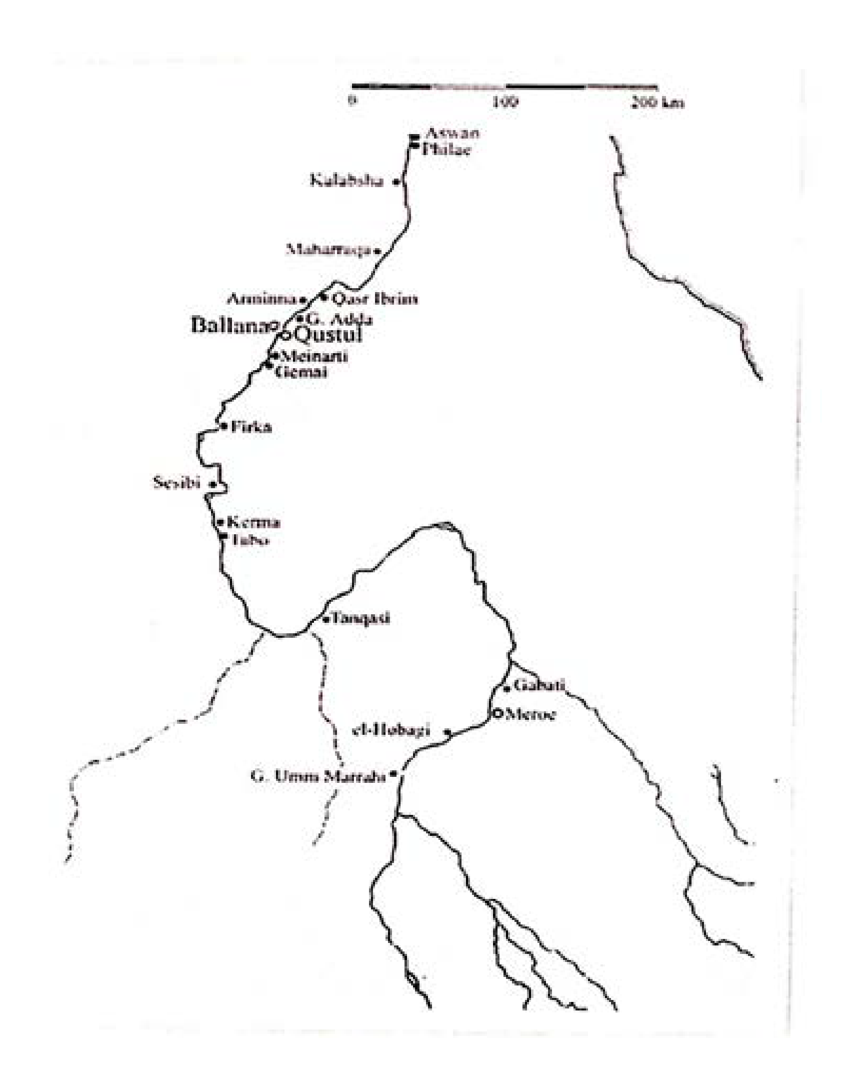
72. صلاح الدين الشامي، المرجع السابق، ص 31- 38. بخاصة ص 37-38.



خريطة ١:موقع ميناء (بطليموس ثيرون) وميناء (باضع)



خريطة 2: الصحراء الشرقية. مواقع قديمة، مدن حديثة ومساحة تقريبية لمملكة البليميين حوالى عام 390-450 م
.Source: Cooper.J. 2020



خريطة 3. السودان في حقبة ما بعد مروي
Source Edwards: Late Antiqu Nubia. 2004